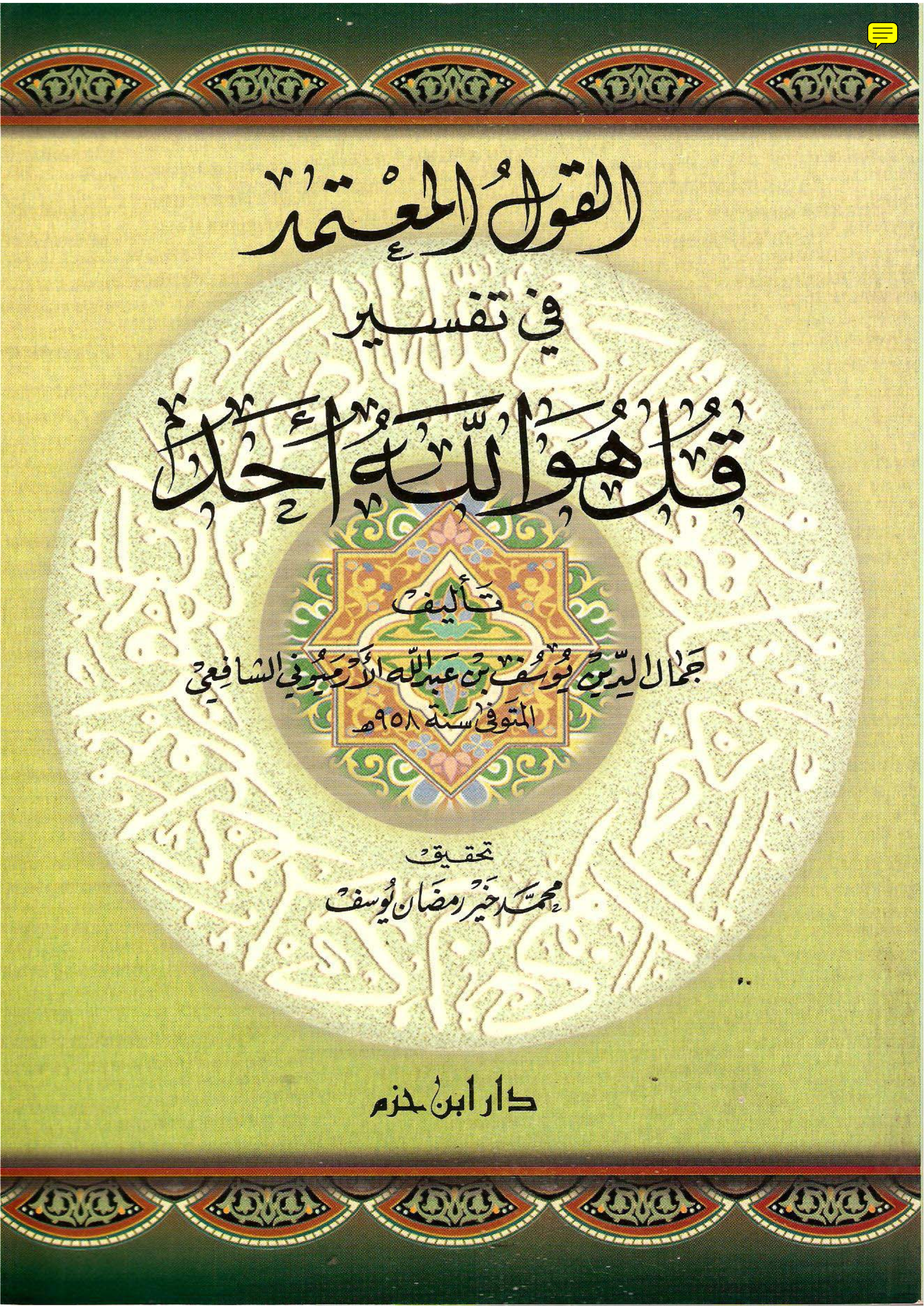

القول المعتمد
في تفسير
قل هو الله أحد
تأليف
جمال الدين يوسف بن عبد الله الأرميوني الشافعي
المتوفى سنة ٩٥٨هـ
تحقيق
محمد خير رمضان يوسف
دار ابن حزم



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

القول المعتمد
في تفسير
قل هو الله أحد

تأليف
جمال الدين يوسف بن عبد الله الأرميوني الشافعي
المتوفى سنة ٩٥٨هـ

تحقيق
محمد خير رمضان يوسف

دار ابن حزم

مقدمة التحقيق

الحمدُ للَّهِ الواحدِ الأحد، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ الخاتمِ أحمد، وعلى آلهِ وأصحابهِ وكلِّ من نزَّهَ ووحَّد. وبعد:

فهذا بحثٌ مسهبٌ حولَ سورةِ الإخلاصِ العظيمة، أوردَ فيه المؤلفُ أسبابَ نزولِها، وبيَّنَ فضلَها، وذكرَ عددَ آياتِها وكلماتِها وحروفِها، ثم اشتقاقَها، فتفسيرَها، وإعرابَها، ووجوهَ قراءتِها. وتعرَّضَ من بين ذلك إلى «الردِّ على ذوي الجهل» عند التفسير، وأوردَ فوائدَ وأسراراً، أوصلَها إلى مئةِ فائدة!

وكان معظمُ ما أوردهُ من تفسيرٍ وفوائدَ من قبيلِ التفسيرِ الكلاميّ. وحذا في ذلك حَذْوَ الإمامِ فخرِ الدين الرازيِّ في تفسيرهِ الكبيرِ حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ.

فأوردَ وجوهاً من التفاسير، واستنتجَ فوائدَ عديدةً، وردَّ على شُبَهٍ واعتراضات، قد لا يخطرُ بعضُها على أذهانِ المعترضينَ أنفسِهم!

وكان ذلك على حسابِ بعضِ الفصولِ التي لم يعطِها حقَّها من البيانِ والتوضيح. وهو يذكرُ أن ما يوردهُ إنما هو كلامُ المؤوِّلين وصورٌ من منهجهم، ثم يشيرُ إلى المذهبِ الأسلم، وهو قولُ السلف، وهو السكوتُ والتمرير، في جوانبَ مما تعرَّض له.

وقد اعتنيتُ بتحقيقهِ على ما يراهُ القارىء، واهتممتُ بتخريجِ أحاديثه، وتوثيقِ نصوصٍ نقلها من الآخرين.

وأصلُه مخطوط، اعتمدتُ في تحقيقهِ على الأصلِ الموجودِ بجامعةِ الكويت (٤١ م.خ مج٥) ويبدو أنه ضمنَ مجموع، حيث إن أوراقَهُ مرقمةٌ من (٦٥ ـ ٨٤)، ويقع في تسع عشرةَ ورقةً كاملة، في كلِّ وجهٍ منها (٢٣) سطراً. وهو بخطٍّ واضحٍ جميل، نُسِخَ سنة ١٠٠١هـ، أي بعدَ وفاةِ المؤلفِ بأقلَّ من نصفِ قَرن.

وعلى جوانبهِ توضيحات، هي عبارةٌ عن نصوصٍ جديدة، تزيدُ من مساحةِ التفسير، وتوردُ أقوالاً أخرى، زيادةً على ما أورده المؤلف... وقد أوردتُ بعضَها، وأشرتُ إلى بعضِها الآخر، وسكتُّ عن كثيرٍ منها.

ولا توجدُ له ورقة عنوان، حيث إنه ضمن مجموع. وتبدأ عبارتُه على النحو التالي: «بسم الله الرحمٰن الرحيم. قال الشيخ الإمام جمال الدين يوسف بن جمال الدين بن عبد الله بن سليمان بن أبي العباس الأموي الشافعي الحسباني عامله الله بلطفه الخفي، وأعذبَ مورده الصفي، وغفر لنا وله ولسائر المسلمين بمنّه وكرمه: الحمد لله الذي جعل كتابه العزيز حجة...».

ونهايته: «.... واجعله كتاباً مباركاً نافعاً إلى يوم القيامة يا ربَّ العالمين. وكان الفراغ من كتابته نهار السبت ثاني عشر شهر رمضان المعظّم قدرُه، من شهور سنة إحدى بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصّلاة وأزكى التحية، على يد أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته ورضوانه، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يوسف الخالدي الشافعي الأشعري، لطف الله بهم وبالمسلمين، وعاملهم بعفوه وغفرانه، إنه أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين. آمين يا ربَّ العالمين. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

أما المؤلفُ فإنه عالمٌ مغمور، لم يأخذْ حظَّهُ من الشهرة، ولم تصلنا إلا نتفٌ من ترجمته، على الرغم من أنه درَّس، وأجاز، وصنَّف. وكان من أبرزِ تلاميذِ الجلال السيوطي رحمه الله.

وقد وصفهُ صاحبُ الكواكبِ السائرة بـ «الشيخ، الإمام، العلاّمة، السيِّد، الشريف».

ووصفه صاحبُ الشذرات بـ «السيَّد، الإمام، العلاّمة»،

إنه جمال الدين يوسف بنُ عبد الله الحسيني، الأَرْمَيُوني، الشافعي.

و «أرْمَيُون» من قرى غربيَّةِ مصر.

وقد درَّسَ علوماً، وممن قرأَ عليه الشيخُ المحقِّقُ إبراهيمُ بنُ عبد الرحمٰن العلقميّ، قرأَ عليه سيرةَ ابن سيِّدِ الناس.

كما أخذَ عنه العلاّمةُ منلا علي السهروردي (أو الشهرزوري) نزيلُ دمشق.

وأجازَ بعضَ تلاميذه، مثلَ عبدِ السلامِ بنِ ناصر الدين الدمياطي الشافعي.

ووقفتُ له على سبعةِ مؤلَّفات، هي:

- أربعونَ حديثاً تتعلقُ بسورةِ الإخلاص.
- أربعونَ حديثاً في فضلِ آيةِ الكرسي.
- تحفةُ الأساطين في أخبارِ بعضِ الخلفاءِ والسلاطين.
- تفسيرُ الغريبِ في الجامعِ الصغير.
- رسالةٌ في تجويدِ القرآن.
- المعتمدُ في تفسيرِ قلْ هو الله أحد.

ولم يطبع منها سوى:

ـ ٤٠ حديثاً في فضلِ آيةِ الكرسيِّ سيِّدةِ آي القرآن؛ دراسةُ وتحقيقُ مصطفى عاشور.ـ القاهرة: مكتبةُ القرآن، ١٤٠٧هـ، ٦٣ص.

ـ بالإضافة إلى كتابهِ هذا الذي وفقني الله لتحقيقه.

وكانتْ وفاتُه سنة ٩٥٨هـ[1].

رحمهُ الله وإيّانا، وأسكننا فسيحَ جنّاته.

اللَّهمّ اجعلِ القرآنَ الكريمَ ربيعَ قلوبِنا، ونورَ صدورِنا، وجلاءَ أحزانِنا، وذهابَ همومِنا، وارزقْنا تلاوتَهُ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار.

والحمد لله وحده.

محمد خير رمضان يوسف
١٤١٧/٦/٤هـ

---

(١) مصادر ترجمة: الأعلام ٩/٣١٨، إيضاح المكنون ١/٥٥، شذرات الذهب ٨/ ٣٢٢، الكواكب السائرة ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، ٣/ ٨٧، معجم المؤلفين ١٣/ ٣١٣، هدية العارفين ٢/ ٥٦٤.

بسم الله الرحمن الرحيم. قال الشيخ الإمام جمال الدين يوسف بن جمال الدين بن عبد الله
ابن سليمان ابن أبي العباس الأموي الشافعي الحسباني عامله الله بلطفه الخفي وأعذب موارد الصفح
وغفر لنا وله ولسائر المسلمين بمنه وكرمه نعم. الحمد لله الذي جعل كتابه العزيز حجة لأولي العلم
والجلالة، وقمع به أهل الغي والجهالة، وأنزله على خير خلقه بصدقه الهادي إليه وقاله صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه في كل حاله. أما بعد فإن الناس مكثرون من تلاوة سورة الإخلاص غالب الأحوال
فمنهم العارف بمعناها ومنهم الجاهل بحقيقتها وبواطنها وعظيم فضلها وأسرارها فسنذكره لك إن
شاء الله تعالى تفسيرًا ليس طويلًا ولا قصيرًا لقوله صلى الله عليه وسلم خير الأمور أوسطها وأذكر عند كل
آية منها ما يتعلق بها من الرد على ذوي الجهل على سبيل التوسط والاختصار كما أفعل ذلك بلم أيضًا
إن شاء الله تعالى ولحذف الرواة للحديث إلا الأصلي حيث ذكرت حديثًا وأذكر الاشتقاق وفضل
السورة وأحصر ذلك في سبعة فصول إن شاء الله تعالى وسميته هذا التفسير المعتمد في
تفسير قل هو الله أحد جعله الله خالصًا لوجهه الكريم إنه بكل شيء عليم. نفع الله بهذا التفسير لسورة
الإخلاص جميع طالبي العلم وسامعه من العوام والخواص وجعله سببًا للهداية والخلاص وأخطأ فيه
على الكفرة وغيرهم من ذوي البدع حين أذكرهم بالدلائل القطعية والنقلية حتى إنهم لا يجدون إلى
الخلاص من مناص. الفصل الأول في سبب نزولها. الفصل الثاني في فضلها.
الفصل الثالث في عدد آياتها. الفصل الرابع في اشتقاقها. الفصل الخامس في تفسيرها والرد
على الجملة عند ذلك. الفصل السادس في إعرابها. الفصل السابع في وجوه قراءاتها وما يتعلق بها.
الفصل الأول في سبب نزول هذه السورة على أربعة أقوال: أحدها أنها نزلت في المشركين
روى أبو العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك من
أي شيء هو فأنزل الله تعالى هذه السورة. والثاني أنها نزلت في اليهود رواه محمد بن إسحاق عن محمد
ابن سعيد قال أتى رهط من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه فغضب
النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبًا لربه فجاء جبريل فسكنه وقال اخفض عليك جناحك
وجاء من الله بجواب ما سألوه قل هو الله أحد السورة. والثالث أنها نزلت في النصارى رواه
الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم السيد والعاقب فقالوا

«أول المخطوطة»

الحمد لله تعالى الى آخره والتسعون بسم الله الرحمن الرحيم آية منها ومن غيرها على الصحيح من مذهبنا
وفي الفاتحة لا خلاف أنها منها لكن هل يسر بها أو يجهر فيستحب للإمام والمنفرد أن يجهر بها وبغيرها من القرآن
في الصلاة الجهرية والذين لا يعتقدون وجوبها يسرون بها الثالثة عشر والتسعون يستحب أن تقرأ هي والمعوذتان
عند النوم ثلاث مرات وينفث في كفيه مجموعتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ثبت ذلك في الصحيحين
قال أهل اللغة النفث نفخ لطيف بلا ريق المائة يستحب قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من سنة الفجر
ويستحب قراءتها دبر الصلاة مع قراءة المعوذتين ويستحب الإكثار من قراءتها لكثرة فضائلها والله أعلم
والحمد لله تعالى أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولنختم
كتابنا بهذا الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم اللهم يا موصوف بالصفات العلى صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته وأهل
بيته الطيبين الطاهرين كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآلهم وصحبهم
أجمعين إنك أنت الغفور الرحيم واجعل كتابنا نافعا إلى يوم القيامة يا رب العالمين وكان الفراغ من كتابته نهار السبت
ثاني عشر شهر رمضان المعظم قدره من سنة [illegible] لهجري بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

على يد أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته ورضوانه محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يوسف
الخالدي الشهير بالأشعري لطف الله بهم وبالمسلمين وعاملهم بعفوه
وغفرانه إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين آمين
يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

«آخر المخطوطة»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي جعل كتابَه العزيزَ حُجَّةً لأولي العلمِ والجلالة، وقمعَ به أهلَ الغَيِّ والجهالة، وأنزلهُ على خيرِ خلقهِ تصديقاً لما دُعِيَ وقاله. صلّى الله عليه وعلى آله وصحبهِ في كلِّ حالة. أمّا بعد:

فإنَّ الناسَ مكثرون من تلاوةِ سورةِ الإخلاصِ غالبَ الأحوال، فمنهم العارفُ بمعناها، ومنهم الجاهلُ بحقيقتها وبواطنها وعظيمِ فضلها وإعرابها.

فسنذكرُ ذلك إن شاء الله تعالىٰ تفسيراً ليس طويلاً ولا قصيراً، لقوله ﷺ: «**خيرُ الأمورِ أوسطها**»[1].

وأذكرُ عند كلِّ آيةٍ منها ما يتعلَّقُ بها من الردِّ على ذوي الجهلِ على سبيلِ التوسط والاختصار، كما أفعل ذلك بإعرابها إن شاء الله تعالىٰ.

وأحذفُ الرواةَ للحديثُ إلا الأصليّ[2] حيثُ ذكرتُ حديثاً.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٧٣) بلفظ: «أمراً بين أمرين وخير الأمور أوساطها»، وقال: هذا منقطع. وقال الحافظ العراقي: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلاً. وقال في موضعين آخرين: مرسلاً. إحياء علوم الدين ٣/ ٨٩، ١٤٥، ٢٥٠ الهامش. وقال ابن طولون في الشذرة في الأحاديث المشتهرة (١/ ٢٨٠): رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً به، وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبدالله، ويزيد بن مرة الجعفي، وكذا أخرجه البيهقي عن مطرف، والديلمي بلا سند عن ابن عباس «خير الأعمال أوساطها» في حديث أوله «دوموا على أداء الفرائض...».

(٢) يعني الراوي الأول.

وأذكرُ الاشتقاقَ، وفضلَ السورة.

وأحصرُ ذلك في سبعةِ فصول إن شاء الله تعالىٰ.

وسميتُ هذا التفسيرَ: **«المعتمد في تفسير قل هو الله أحد»**.

جعلهُ الله خالصاً لوجهه الكريم، إنه بكلِّ شيءٍ عليم.

نفعَ الله بهذا التفسيرِ لسورةِ الإخلاص جميعَ مَنْ طالعهُ أو سمعهُ من العوامِّ والخواصِّ، وجعلهُ سبباً للهدايةِ والخلاص.

وأحُطُّ فيه على الكَفَرَةِ وغيرِهم من ذوي البدعِ حين أذكِّرهم بالدلائلِ القطعيَّةِ والنقليَّةِ، حتى إنهم لا يجدونَ إلى الخلاصِ من مناص.

الفصل الأول: في سبب نزولها.

الفصل الثاني: في فضلها.

الفصل الثالث: في عدد آياتها.

الفصل الرابع: في اشتقاقها.

الفصل الخامس: في تفسيرها والردِّ على الجهلةِ عند ذلك.

الفصل السادس: في إعرابها.

الفصل السابع: في وجوهِ قراءاتها وما يتعلقُ بها.

الفصل الأول

في سبب نزول هذه السورة

سبب نزول هذه السورة[١] على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في المشركين.

روى أبو العالية[٢] عن أبي بن كعب رضي الله عنه، **أن المشركين قالوا للنبيِّ ﷺ: انسُبْ لنا ربَّك من أيِّ شيءٍ هو. فأنزل الله هذه السورة**[٣].

(١) تكرير لعبارة الفصل الأول، من قبل المحقق. وفي الهامش بيان بأسماء هذه السورة، وهي عشرون: سورة التفريد، والتجريد، والتوحيد، والإخلاص، والنجاة، والولاية، ونسبة الرب، والمعرفة، والكمال، والمقشقشة [من التهيؤ للبرء]، والمعوّلة، والصمد، والأساس، والمانع، والمحضر، والمنفِّرة [ينفر الشيطان عند قراءتها]، والبراءة، والمذكِّرة، والنور، وقل هو الله أحد. ثم شرحها... وهي مصورة في هذا الكتاب، يتمم قراءتها من أراد ذلك... وقد أوردها ونقد شرحها الآلوسي في روح المعاني ٣٠/٤٧٦ ـ ٤٧٨، كما ذكرها الفخر الرازي في التفسير الكبير عند تفسيره لسورة الإخلاص.

(٢) هو رفيع بن مهران الرياحي البصري. روى عن أبي وأنس وحذيفة، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم. ت ٩٠هـ. تهذيب الكمال ٩/٢١٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/١٣٤، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص ٥/٤٥١ ـ ٤٥٢، في روايتين: ٣٣٦٤ و٣٣٦٥ وقال في التالي: هذا أصح من حديث أبي سعد (السابق)، وابن جرير الطبري في تفسيره ٣٠/٢٢١، والحاكم في المستدرك (٢/٥٤٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص.

والثاني: أنها نزلت في اليهود.

رواه محمد بن إسحاق عن محمد، عن سعيد[1] قال: **أتى رهطٌ من اليهودِ النبيَّ ﷺ**، قالوا: يا محمد، هو الله خَلَقَ الخَلْقَ، فمن خَلَقَه؟

فغضبَ النبيُّ ﷺ حتى انتقعَ لونُه[2]، ثم ساورهم غضباً[3] لربِّه. فجاء جبريلُ فسكَّنه وقال: اخفضْ عليك جناحك. وجاءه من الله بجوابِ ما سألوه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ السورة[4].

الثالث: أنها نزلت في النصارى.

رواه الضحاك[5] عن ابن عباس، **أن وفدَ نجرانَ قدموا على رسول الله ﷺ**، فيهم السيدُ والعاقب[6]، فقالوا للنبيِّ ﷺ: صفْ لنا ربَّك من أيِّ شيءٍ هو؟

فقال النبيُّ ﷺ: **«إن ربِّي ليس من شيء، وهو بائن من الأشياء»**.

---

(١) في الأصل: «عن محمد بن سعيد» والتصحيح من تفسير الطبري ٣٠/ ٢٢١. ولم أعرف المقصود بهما، فإن محمد بن إسحاق المطلبي (صاحب السيرة) يروي عن عديدين باسم محمد، وهؤلاء العديدون يروون عن سعيد بن يسار وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير... كما في تهذيب الكمال من مظانه. وعلى الأغلب يكون المقصود سعيد بن جبير، حيث ورد الخبر في السيرة النبوية... كما هو موثق. والله أعلم.

(٢) أي تغيّر.

(٣) ساورهم: غضب عليهم وغالبهم.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ٣٠/ ٢٢١ ـ ٢٢٢. وابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق ١/ ٥٧١ ـ ٥٧٢، وفيهما زيادة. وفي كون السائلين يهوداً ينظر روح المعاني ٣٠/ ٤٨٥.

(٥) الضحاك بن مزاحم الهلالي.

(٦) العاقب أميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه. والسيد صاحب رحلتهم. الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٣٥٧.

فأنزل الله هذه السورة[١].

والرابع: أنها نزلت في شأنِ عامرِ بن الطفيل[٢]، وأَرْبِدَ بن قيس[٣]، من ربيعة.

وكانت قضيتُهما على ما رواه أبو صالح[٤]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلَ عامرُ بن الطفيل، وأَرْبِدُ بن قيس - وهما عامريان. يريدان رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالسٌ في نفرٍ من أصحابه. فدخلَ المسجدَ، فاستشرفَ الناسُ لجمال عامر - وكان من أجملِ الناس - فقال رجلٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ: هذا عامرُ بن الطفيل قد أقبلَ نحوكَ.

قال: «**دَعْهُ، فإنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيراً يَهْدِهِ**».

فأقبلَ حتى قام عليه ﷺ فقال: يا محمد، ما لي إن أسلمتُ؟

---

(١) ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير ٣٢/ ١٧٥. وقد وردت قصة وفد نجران على رسول الله ﷺ في مصادر عدة. ولم أر فيها ما يتعلق بسبب نزول سورة الإخلاص إلا في التفسير المذكور.

(٢) من فرسان الجاهلية، أحد فتّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. ولد ونشأ بنجد. خاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخاً، ووفد على الرسول ﷺ بعد فتح مكة ولم يسلم، وعاد حنقاً يريد محاربة الرسول ﷺ، لكنه مات في الطريق قبل أن يبلغ قومه. وكان أعور عقيماً، وهو ابن عم لبيد الشاعر. ت١١هـ. الأعلام ٤/ ٢٠.

(٣) أربد بن قيس بن جَزء بن خالد العامري. أخو لبيد الشاعر لأمه. وكان عامر بن الطفيل قد اتفق معه أن يشغل الرسول ﷺ ويهوي عليه أربد بالسيف، لكنه لم يقدر على ذلك، فقال لعامر من بعد: والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟ وكان قد دعا عليهما الرسول ﷺ، فهلك عامر بالطاعون، وأحرقت الصاعقة أربد وجمله! السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٦٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٠٤.

(٤) هو ذكوان السمان الزيات. روى له الجماعة. توفي بالمدينة سنة ١٠١هـ. تهذيب الكمال ٨/ ٥١٣.

قال: «**لكَ ما للمسلمين، وعليكَ ما عليهم**».

قال: تجعل لي الأمرَ بعدك؟

قال: «**ليسَ ذلكَ إليَّ، إنما ذلكَ إلى اللَّهِ، يجعلهُ حيثُ يشاء**».

قال: فتجعلني على الوبرِ وأنت على المَدَر[1]؟

قال: «**لا**».

قال: فماذا تجعل لي؟

قال: «**أجعلُ لكَ أعنَّة الخيلِ تعدو عليها**».

قال: أوَليس ذلك إليَّ إلى اليوم؟ قم معي أكلمك.

فقام معه رسولُ الله ﷺ، وكان قد أوصى إلى أَربدَ بن قيس: إذا رأيتني أكلمه فدُرْ من خلفهِ فاضربْهُ بالسيف.

فجعلَ عامرٌ يخاصمُ رسولَ الله ﷺ وهو يقول: أخبرني عن ربِّك: أمِنْ ذهبٍ، أم من فضة، أم من صُفْر؟ ومن أيِّ قبيلةٍ هو؟ وإلى من يُنسب؟ ويراجعهُ رسولُ الله ﷺ ويجادله. فدار أَربد خلفَ النبيّ ﷺ ليضربَهُ، فاخترطَ من سيفه شبراً، ثم حبسه الله تعالىٰ[2] فلم يقدر على سَلِّهِ. وجعل عامرٌ يومىءُ إليه. فالتفتَ رسول الله ﷺ، فرأى أَربد وما صنع بسيفه، فقال: «**اللَّهمّ اكفنيهما بما شئت**».

فأرسل الله تعالىٰ على أَربد صاعقةً في يوم صائفٍ فأحرقته، وولّى عامرٌ هارباً، وقال: يا محمد، دعوتَ ربَّك فقتل أَربد، والله لأملأنَّها عليك خيلاً جُرْداً[3]، وشباباً مُرْداً.

---

(١) الوبر والمدر: يعني البدو والحَضر.

(٢) في الأصل زيادة «علي».

(٣) في الأصل «جدداً» وفي الهامش: لعله جرداً. والخيل الجرد: السبَّاقة.

فقال رسول الله ﷺ: «يمنعكَ اللّهُ ذاكَ، وأبناءُ قَيلَةَ[1] ـ يريد الأوسَ والخزرج ـ».

فنزل عامرٌ بيت سلوليةٍ وأنشأ يقول:

تخيَّرْ ـ أبيتَ اللعنَ ـ إن شئت رُدَّنا   وإن شئتَ حرباً ذاتَ بأسٍ ومصدق

فلما أصبحَ ضمَّ عليه سلاحَهُ، وقد تغيَّر لونُه، وهو يقول:

لعمري وما عمري عليَّ بهيِّن   لقد شانَ حُرَّ الوجهِ طعنةُ مسهرِ
وقد علم المزنوق[2] أني أكرُّه   على جمعهم كرَّ المنيح المشهَّرِ
إذا ازْوَرَّ مِنْ وقعِ السِّنان زجرتُه   وأخبرتُه أني أمردُ غَيْرُ مُقصرِ
وأخبرتُه أنَّ الضِّرار خزايةٌ   على المرءِ ما لم يُبدِ عُذراً فيُعْذَرِ
لقد علمتْ عُلْيا هوازنَ أنني   أنا الفارسُ الحامي خضيبة جعفر

فجعل يركضُ في الصحراءِ ويقول: ابرزْ يا ملكَ الموتِ! ثم أنشأ يقول:

ألا قرِّب المزنوقَ إذا جدَّ ما أرى   لتعريضِ يومِ شرُّه غيرُ خامدِ
ألا قرِّباه إن غايةَ حربنا   إذا قرِّب المزنوق بين الصفائدِ

واللاّتِ إن أصحرَ إليَّ محمدٌ[3] وصاحبُه ـ يعني ملكَ الموتِ ـ لأنفذتُهما برمحي.

فلما رأى الله تعالىٰ ذلك منه أرسل مَلَكاً فلطمه بجناحه، فأذرأهُ بالتراب[4]، وخرجت على ركبتيه غُدَّةٌ كغدَّة البعير ـ في الوقتِ ـ

(١) وهي أم الأوس والخزرج، كما في القاموس المحيط (مادة قيل).

(٢) المزنوق: المخنوق.

(٣) أي برز إليه في الصحراء.

(٤) أذرأه: ألجأه.

عظيمةٌ. فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غُدَّة كغُدَّةِ البعير، وموتٌ في بيتِ سلولية؟

ثم دعا فرسَهُ، ثم أجراهُ حتى مات على ظهره!

فأجاب الله دعاءَ رسولِ الله ﷺ: فقُتل عامرٌ بالطعنِ[1]، وأَربدُ بالصاعقة!

وأنزلَ الله تعالىٰ في قصتهما: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[2].

وأنزل في مخاصمةِ عامرٍ مع النبيّ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة[3].

قلتُ: في هذه الحكايةِ المروية عن ابن عباسٍ فوائد:

أحدها: موتُ عامرِ بن الطفيل وأربدَ بنِ قيس كافرين.

الثانية: أن هذه الحكاية كانت سبباً لنزولِ سورة الإخلاص.

---

(١) أي الطاعون.

(٢) سورة الرعد، الآيتان ١٣ ـ ١٤.

(٣) وردت قصة وفد عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وجبار بن سلمى ـ وكانوا رؤساء القوم وشياطينهم ـ في مصادر عدة، منها: السيرة النبوية لابن هشام ٥٦٧/٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣١٠/١، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٠٤/٢، وجزء منه في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان ٤٢/٥، وأورده ابن كثير ملخصاً بدون إسناد في تفسيره ٥٠٦/٢ ولم يعلق عليه، وابن جرير في تفسيره ٨٤/١٣، والطبراني في المعجم الكبير ٣٧٩/١٠ رقم ١٠٧٦٠، وليس فيها جميعاً ما يتعلق بسورة الإخلاص. لكن الذي ذكر أن سبب نزولها هو هذا الوفد، وأورد بعضاً مما ذكر: ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٠/٨، والبغوي في تفسيره (معالم التنزيل) ٥٤٤/٤.

الثالثة: أن هذه القصّةَ دلالةٌ على صِحةِ رسالتهِ، لما فيها من الإعجازِ العظيم.

الرابعة: أنه ﷺ غيرُ متكبِّرٍ؛ لقيامه إلى محادثةِ كافر.

الخامسة: أن النبيَّ ﷺ التفتَ ثم دعا، ولم يَدْعُ قبل الالتفات، **لأنه ﷺ يرى من خلفه كما يرى من قدّامه**[١].

قلنا: يُحتمل أنه أرادَ بذلك إخجالَ عدوِّ الله أَربد، وأنه قد علم بما فعل، ليكونَ ذلك أظهرَ للإعجاز.

ويُحتملُ أن نظرَهُ إليه لإرعابِهِ بهيبةِ النبيِّ ﷺ.

ويُحتملُ غيرُ ذلك.

فهذا ما تيسَّر في نزولِ هذه السورةِ العظيمةِ المباركة، والله تعالىٰ أعلم[٢].

---

(١) عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «أقيموا صفوفكم وتراصُّوا فإني أراكم من وراء ظهري». رواه البخاري، كتاب الأذان، باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف ١/١٧٦.

(٢) أورد الأسباب الأربعة في النزول الفخر الرازي في التفسير الكبير ٣٢/١٧٥.

الفصل الثاني

في بيان فضل هذه السورة
وأنها تعدلُ ثلث القرآن

روي عن سعد بن مالك[1] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ قَرَأَ قُلْ هوَ الله أحدٌ فكأنَّما قرأَ ثلثَ القرآن، ومن قرأ قُلْ يا أيها الكافرون فكأنَّما قرأَ ربعَ القرآن»[2].

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الصغير (الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني ١/ ١١٤ رقم ١٦٥). وأورد الحافظ الهيثمي القسم الأول منه، وقال: رواه البزار، وفيه زكريا بن عطية، وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٧/ ١٥١.

وروى أحمد في المسند (٥/ ١٤١) عن أبي بن كعب: «من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن»، قال في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٠: رجاله رجال الصحيح.

وروى ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن»، وكان يقرأ بهما في ركعتي الفجر وقال: هاتان الركعتان فيهما رغب الدهر. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الله بن زحر، وثقه جماعة وفيه ضعف. مجمع الزوائد ٧/ ١٥١.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا زلزلت عُدِلَت بنصف القرآن، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عُدلت له بربع القرآن، ومن قرأ قل هو الله أحد عُدلت له بثلث القرآن». رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت ٥/ ١٦٥ رقم ٢٨٩٣ وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سلم. وفي الحديث التالي عند الترمذي رواية قريبة مما ذكر عن ابن عباس.

قال سعد[1]: وحدثني عمي سعد بن إبراهيم، عن أبي سلمة[2]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قَرأَ قُلْ هو الله أحدٌ بعد صلاةِ الفجرِ اثنتي عشرةَ مرةً فكأنما قرأَ القرآن أربعَ مرات، وكانَ أفضلَ أهلِ الأرضِ يومئذ، إذا اتَّقىٰ»[3].

ذكر معنى قوله عليه الصّلاة والسّلام: إنها تعدل ثلث القرآن

اعلم أنّا نظرنا إلى مقاصدِ القرآن، فوجدناها تنحصرُ في ثلاثةِ فنون:

الأول: بيانُ معرفةِ توحيدِ الله تعالىٰ.

والثاني: معرفةُ عبادةِ الله تعالىٰ.

والثالث: معرفةُ المعاملةِ مع عبادِ الله تعالىٰ.

وهذه السورةُ تضمَّنت أحد هذهِ المقاصدِ الثلاثة: وهو معرفةُ توحيدِ الله تعالىٰ. فمن قرأها: **«فكأنما قرأَ ثلثَ القرآن»**، لأنَّ المعاني التي فُرِّقَتْ في **ثلثِ** القرآنِ جُمعت في هذهِ السورة. وهذا الاعتبارُ في قوله عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ قرأَ قُلْ يا أيها الكافرونَ فكأنَّما قرأَ ربعَ القرآن»**. وهو أنّا إذا نظرنا في القرآنِ من وجهٍ آخرَ وجدناه يتضمَّن أجناساً أربعةً من المناهي:

الأول: اجتنابُ الشِّركِ وأهله.

الثاني: اجتنابُ متابعةِ الهوىٰ.

---

(١) هو سعد بن محمد بن المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف.

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني ١/ ١١٥ رقم ١٦٦). قال في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٩): فيه من لم أعرفهم. وقد تكرّرت كلمة «اتقىٰ» في المخطوط، ولم تتكرر عند الطبراني.

الثالث: اجتنابُ طاعةِ الشيطان.

الرابع: اجتنابُ إيثارِ الدنيا على الآخرة.

وقد اشتملتْ هذه السورةُ على أحدِ هذهِ الأجناسِ الأربعة، وهو اجتنابُ الشركِ وأهلهِ، فمن قرأها «**فكأنما قرأَ ربعَ القرآن**»، لأنه يتحصَّلُ فيها من المعنى ما يتحصَّلُ بقراءةِ ربعِ القرآن.

وهكذا في قوله عليه وعلى آله وصحبه أفضلُ الصلاةِ والسلام في سورةِ «زلزلت» تَعْدِلُ نصف القرآن[1].

وهو إنما أُنزل القرآنُ على النبيِّ ﷺ لتفصيلِ ما يأتونَ ويذرونَ في الدنيا، وبيانِ ما يُجازون به في العقبىٰ؛ فعلى هذا صارتْ هذه السورةُ تعدلُ نصفَ القرآن، لأنها تتضمنُ بيانَ ما يُجازونَ به في العقبىٰ، من حين خروجهم من البرزخِ إلى حين استقرارهم في أحدِ المنزلين: في الجنةِ أو النار.

فمن قرأها فكأنما قرأ نصفَ القرآن، لأنه بقراءتها اطَّلع على أحد مقصودي القرآن، وهو بيان أحوالِ الناسِ في الآخرة. وهذا المقصدُ إنما يأتي عليه نصفُ القرآن.

قلت: كذا قالوه، ويُحتمل أن يُقال: إنما تعدلُ نصفَ القرآن؛ لأن القرآن ينحصرُ في جنسين:

أحدهما: ما يُجازى به، كالحسناتِ والسيّئات.

والثاني: ما لا يُجازى به، كالمباحات.

ومقصودُ هذه السورةِ قد اشتمل على أحد هذين الجنسين، وهو ما يُجازىٰ به من خيرٍ أو شر، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

(١) حديث: «من قرأ إذا زلزلت عدلت بنصف القرآن» رواه الترمذي، وقد سبق تخريجه.

﴿ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[1]، فقد اشتملَ مقصودُنا على ما اشتملَ على نصفِ القرآن، وهو الذي يُجازى به.

ويُحتمل أيضاً أن يُقال: إنما تعدلُ نصفَ القرآن؛ لأنَّ القرآنَ مشتملٌ على نوعين في الترغيبِ والترهيب:

أحدهما: ما يكونُ بلفظِ الأمر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2]، وأشباهِ ذلك.

وما يكونُ بلفظِ الترغيب؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

النوع الثاني: أن يُقصدا ـ أي الترغيبَ والترهيبَ ـ بلفظِ الإخبارِ لا الأمر.

ففي الترغيبِ قولُه تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[4].

وفي الترهيب؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5].

وقد اشتملتْ هذه السورةُ على أحدِ هذينِ النوعينِ، وهو الإخبارُ فقط، وذلك قولُه تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ إلى آخرها.

وهكذا معنى قولِه ﷺ: **«لكلِّ شيءٍ قَلْبٌ، وَقَلْبُ القرآنِ يس»**[6].

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ ـ ٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٣) سورة الحج، الآية ٧٧.

(٤) سورة يونس، الآية ٢٦.

(٥) سورة التوبة، الآية ٤٩.

(٦) رواه بهذا اللفظ الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤/١٦٧.
وعند الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل يس ٥/١٦٢ رقم ٢٨٨٧: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات» وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من =

وذلكَ أنَّ قلبَ كلِّ شيءٍ خالِصُه.

ومنه الحديث: «**إن علياً رضي الله عنه كان قُرَشياً قلباً**»[1]، أي خالصاً.

وقلبُ العسكر، وهو موقف الأمير.

وإنما صارت يس قلبَ القرآن؛ لأن جُمَلَ المقاصدِ اجْتمعتْ عليها، ولم يشذَّ منها شيء، إلا نبذٌ من القرآنِ يمكنُ دخولُ النسخِ عليها، فكانتْ ثابتةً مرةً ومنسوخةً أخرى.

وأما الأمورُ التي لا تحتملُ النسخَ، من إثباتِ وجودِ الصانع، ودلائلِ وحدانيته، والإرشادِ إلى الصنائعِ المؤدية إلى معرفةِ الصانع، والحثِّ على تصديقِ الأنبياءِ وبيانِ صدقِهم، وإثباتِ البعثِ والنشورِ وأحوالِ الناس في القيامة من السعداءِ والأشقياء، وغيرِ ذلك مما يطولُ شرحُه، فإنها مجتمعةٌ فيها وحاويةٌ لها، فمن قرأها فكأنما قرأَ أكثرَ القرآن، بل كلَّه، لأنها جمعتْ ما فُرِّق في جميعِ القرآن.

ولهذا المعنى قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ سورةَ يس تُسَمَّى في**

= حديث حميد بن عبد الرحمٰن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وهارون أبو محمد شيخ مجهول.اهـ. علق عليه المحدِّث العجلوني بقوله: أجيب بأن غايته أنه ضعيف، وهو يعمل به في الفضائل. كشف الخفاء ١/ ٢٣٢. وورد حديث «يس قلب القرآن» مع بيان فضل هذه السورة الكريمة، في روايات أخرى، تراجع مع تخريجها في تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣. وقال العلامة الآلوسي: صحَّ من حديث الإمام أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «يس قلب القرآن». روح المعاني ٢٣/ ٣١١.

(١) أورده ابن الأثير بلفظ: «كان علي قرشياً قلباً» أي خالصاً من صميم قريش. وقيل: أراد فهماً فطناً، من قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [سورة ق، الآية ٣٧]. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٩٦. ولم أهتدِ إليه في مصادر أخرى قريبة.

التوراةِ المعمَّمة»[1]، يعني أنها تعمُّ صاحبَها بكلِّ خير.

والاطلاعُ على معرفةِ هذا النوعِ مِن العلمِ لا يظفرُ به إلا من شاءَ الله له بذلك، وذلك عينُ الحكمةَ وسرُّها، ومن أُوتي الحكمةَ ﴿**فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾[2].

قلت: قد سألني بعضُ الأصحابِ عن مسألةٍ تُشبهُ ما نحنُ فيه، وهو قولُه ﷺ: «**مَنْ تواضعَ لغنيٍّ [لأجل غناه] ذهب ثُلثا دينِهِ**»[3].

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢/٣٨٧ في ترجمة محمد بن عبد بن عامر السُّغدي بلفظ: «سورة يس تدعى في التوراة المعمَّة»؟ قيل: يا رسول الله وما المعمة» قال: «تعمّ صاحبها بخيري الدنيا والآخرة...» وقال الخطيب: الحديث بهذا الإسناد باطل.اهـ. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٤٦ ـ ٢٤٧) وقال: قال الدارقطني: محمد بن عبد يكذب ويضع.اهـ. وقال العلامة الشوكاني في الفوائد الجموعة في الأحاديث الموضوعة (ص ٣٠١): رواه الخطيب عن أنس مرفوعاً وهو موضوع، اتهم بوضعه محمد بن عبد بن عامر السمرقندي، وقد رواه العقيلي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعاً، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الجدعاني وهو متروك. وقد أخرجه البيهقي في الشعب من طريقه وفي إسناده مجاهيل وضعفاء.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٣) أورده الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص ٢٢٧، رقم ٨٩٣ وقال: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، قال السيوطي: ولم يصب، فقد روى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود وأنس بلفظ: «من دخل على غني فتواضع له ذهب ثلثا دينه» وقال في كل منهما: إسناده ضعيف.
قلت: ولم أجده باللفظ المثبت في المتن في الموضوعات لابن الجوزي (٣/١٣٩ ـ ١٤٠).
وفصَّل تخريجه بذكر شواهده ابن طولون في «الشذرة» ٢/١٦١ ـ ١٦٣ وقال: ... نعم عند البيهقي من حديث وهب بن منبِّه قال: قرأت في التوراة، وذكر نحوه. وإنما لم يحكم على الثلث الثالث وهو القلب؛ لخفائه، إذ الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وتصديق بالقلب عند الأكثر.
ونقل منه العجلوني في كشف الخفاء ٢/٢٤١.
وما بين المعقوفتين من المصادر المثبتة، لم يرد في الأصل المخطوط.

فلِمَ خصَّصَ الذهابَ من الدِّين بالثلثين؟

فتلمَّحتُ جواباً؛ وهو أنَّ للإنسانِ في دينه ثلاثةَ أحوال:

الأول: حالُ الاستواء، وهو الدوامُ عليه من غير جلبِ طاعةٍ أو معصية، فقد استوىٰ الطرفان.

الحال الثاني: جلبُ الطاعة، وهو يزيدُ في الإيمان.

الحال الثالث: حالُ جلبِ المعصية.

فهذه ثلاثةُ أحوال.

فإذا تقرَّرَ ذلك ظهرَ أنه إذا تواضعَ لغنيٍّ ذهبَ ثلثا دينه: ثلثٌ لإشعاره بحبِّ الدنيا والإقبال عليها وعلى أهلها، وثلثٌ لإشعارهِ بالإعراضِ عن الآخرةِ وعن الفقرِ والمسكنة وأهلها. وبقي الثلثُ الثالثُ على حاله!

وهذا الحديثُ يؤيد الصحيحَ في أن الإيمانَ يَزِيدُ بالطاعة ويَنْقُصُ بالمعصية، وليس مصرِّحاً بذلك، بل يُستأنسُ به في ذلك، والله أعلم.

ويُحتمل أن يُقال: الدِّينُ مبنيٌّ على الآخرةِ وعملِها وأهلِها، فلما تواضعَ للغنيِّ أَشْعَرَ بأنه تركَ أهلَها وعملَها، وليس ذلك مشعراً[1] ببغض الآخرة، والله أعلم.

ثم نذكرُ بعضَ ما وردَ في فضلها.

من ذلك ما رُوي عن يزيدِ بن عبد الله العنبري[2]، عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«مَنْ قَرأَ قُلْ هوَ اللَّهُ أحدٌ في مرضهِ الذي يموتُ فيه لم يُفتَنْ في قبرِهِ، وأَمِنَ في قبرِهِ من ضَغْطَةِ القَبْرِ، وحَمَلَتْهُ الملائكةُ بأكفِّها حتى

---

(١) في الأصل: مشعر.

(٢) في الأصل: زيد بن عبد الله العتري. والتصحيح من الحلية والسلسلة الضعيفة.

تُجيزَهُ من الصِّراط إلى الجنة»[1].

وعن جابرِ بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قرأَ قُلْ هوَ اللَّهُ أحدٌ كلَّ يوم خمسَ مراتٍ، نوديَ يومَ القيامة مِنْ قبرِهِ: قُمْ يا مادحَ الله فادخلِ الجنَّة»[2].

وعن أنسٍ أن رسولَ الله ﷺ قال لرجل:

«لِمَ تَلْزَمُ قراءةَ قُلْ هو الله أحد؟»

فقال: إني أحبُّها.

قال: **«فإنَّ حبَّها أَدْخَلَكَ الجنة»**[3].

فهذا ما تيسَّر من المهماتِ في فضلِ سورةِ الإخلاص، والله أعلم.

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢١٣. وأورده الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٨ ـ ١٤٩ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يروىٰ عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، وفيه نصر بن حماد الوراق وهو متروك.

قال الألباني: أخرجه أبو نعيم من طريق نصر بن حماد البلخي قال: حدثنا مالك بن عبد الله الأزدي قال: حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير العنبري، عن أبيه مرفوعاً. قلت: وهذا إسناد موضوع، المتهم به نصر هذا. قال ابن معين: كذاب. وشيخه مالك بن عبد الله الأزدي لم أعرفه. سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة ١/ ٣١٦ رقم ٣٠١.

(2) هكذا ورد في الأصل. ولفظه في الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٢٦١) رقم ١١٣٤: «من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة من قبره: قم يا مادح الله فادخل الجنة». قال في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٩): رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(3) ورد الحديث في روايات متعددة وألفاظ متقاربة في مصادر عدة، منها صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد ٦/ ١٠٥، وسنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص ٥/ ١٦٩ رقم ٢٩٠١.

وفي حاشية آخر هذا الفصل إيراد أحاديث أخرى في فضائل هذه السورة، لم أر نقلها، لوجودها في مظانها القريبة المتوفرة، وربما كان أكثرها استيفاء تفسير ابن كثير ٤/ ٥٦٦ ـ ٥٦٩.

الفصل الثالث

في عدد آياتها وكلماتها وحروفها

اعلم أن هذه السورةَ الكريمةَ مكيّةٌ في قولِ عثمانَ بنِ عطاء، عن أبيه[1]، عن ابن عباس، ونافعِ بن أبي نعيم[2].

ويُقال: إنها مدنية، وهو قولُ مجاهد، ومحمدِ بن كعب، وغيرِهما.

وهي أربعُ آيات.

وخمسَ عشرةَ كلمة.

وسبعةٌ وأربعونَ حرفاً.

---

(١) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو أيوب. نزيل بيت المقدس. كان يحيي الليلَ صلاةً إلا نومة السحر. وكان يعظ ويحثّ على التهجد. وهو كثير الإرسال عن الصحابة رضي الله عنهم. وروايته عن ابن عباس مرسلة. ت ١٣٥هـ. العبر ١/ ١٤٠، تهذيب الكمال ٢٠/ ١٠٧ ـ ١٠٨ (الهامش).

(٢) نافع بن أبي نعيم الليثي، قارىء أهل المدينة، وأحد القراء السبعة. قرأ على سبعين من التابعين. قال الإمام مالك: نافع إمام الناس في القراءة. ت ١٦٩هـ. العبر ١/ ١٩٨.

الفصل الرابع

في اشتقاقها

«السُّورة» غيرُ مهموزة. وهي مأخوذةٌ من سُوْرِ البناء، كأنّها أحاطتْ بالكلياتِ والآيات، كما أنَّ سُوْرَ المدينة محيطٌ بما فيها من المنازلِ وغيرِها. وجمعُها: سُوَر، بضمِّ السينِ المهملة، وفتحِ الواو، مثلُ صُورَةٍ وصُوَر.

وبعضُهم يَهْمِزُهَا[1]، كأنَّها مشتقَّةٌ من أَسْأَرْت الماءَ إذا أبقيتَ فيه بقية. وأُنْكِرَ هذا القول.

قلت: قد يكونُ الإنكارُ بسببِ أنه شبَّهها بما قد استُغني عنه وحُقِّر، كالفَضْلة.

والآياتُ جمعُ آية، ومعناها الجماعة، يُقال: خرجَ القومُ بآيتهم، أي بجماعتهم، كأنَّ كلَّ آيةٍ من القرآنِ جماعةُ حروف.

وقيل: الآيةُ: العلامة. يقال: هذه آيةُ الأمرِ، أي علامتُه، فكأنَّ معنى «آية من القرآن»، أي: علامةَ تمامِ الكلامِ وانقطاعِهِ.

قلتُ: قد يُقالُ على هذا القولِ: إنَّ الآيةَ العلامةُ، يعني أنها علامةٌ على صدقِ ما قبلها وما بعدها؛ لعدمِ التناقضِ، أو لأنَّها علامةٌ على صدقِ الرسولِ ﷺ على أقوالِهِ وأفعالِهِ. وهذا ظاهرٌ محتملٌ غايةَ

---

(١) الأفضل أن يقال: يحقَّق فيها الهمزة.

الاحتمال، وقد يُرادُ بها أشباهُ ذلك، كتصديقها الأنبياءَ، ونحوِ ذلك.

والقرآنُ اسمٌ لكتاب الله تعالىٰ المنزَّل على نبيِّنا محمد ﷺ، لا يسمَّى به غيرُه. وهو مأخوذ من قول العرب: قريتُ الماءَ في الحوض إذا جمعتُه، فسمِّي به لأنه جَمَعَ سوراً وآياتٍ وكلماتٍ ومعاني وقصصاً[1] وغير ذلك. وهذا القولُ هو اختيارُ الشافعي رحمه الله، لأنه قال: القرآنُ غير مهموز. كذا روي عنه.

وقال بعضُ أهل اللغة: هو مصدر، يقال: قرأت قراءة وقرآناً، فسمي به لأنه يُقرأ. قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[2].

---

(١) في الأصل: سور... وقصص.

(٢) سورة القيامة، الآية ١٨.

الفصل الخامس

في تفسيرها
والردّ على ذوي الجهل عند التفسير

فأما أوَّلُها فالبسملة.

اعلمْ أن البسملةَ من فاتحةِ الكتابِ آيةٌ منها عندنا ـ أي عند الشافعية ـ بلا خلاف، وأنها في غيرِها من السُّوَرِ آيةٌ أيضاً على الصحيح.

والآيةُ هي الحجَّةُ والعلامة.

والآيةُ من القرآنِ علامةٌ على تمامِ الكلامِ وانقطاعِهِ، أو هي كلامٌ مفضٍ إلى انقطاعِهِ. وقد تكونُ كالسورةِ فيما قلناه أولاً، لِما جَمَعَتْ من الحروف، وقد تقدَّمَ ذلك في الفصلِ الرابع.

قولُه تعالىٰ: ﴿بِسْمِ﴾:

اعلمْ أنَّ الاسمَ واحدُ الأسماءِ، وهو مشتقٌّ من السموِّ على أحدِ الوجهين، وهو العلوُّ. يقال: سَمَا فلانٌ يَسْمو سُمُوّاً إذا عَلاَ، فكأَنَّ المسمَّىٰ ارتفعَ بدرجةِ وجودِهِ على درجةِ عدمِهِ فسما، فحصلَ له اسمٌ.

والوجهُ الآخر أنه مشتقٌّ من السِّمَة، وهي العلامةُ، فكأنَّ المسمَّى وُسِمَ بهذا الاسمِ علامةً ليُعْرَفَ بِهِ عن غيرِه.

وقال بعضُهم: إن الاسمَ جُعِلَ لتمييزِ الأشياءِ بعضِها من بعض،

وأنها لا تتميَّز إلا بعلامة، والعلامةُ تنقسم إلى حسِّيٍّ وعلمي، والعلامةُ الحسيَّةُ يُقال لها السِّمَة، والعلامةُ العلميةُ يُقالُ لها الاسم. فالجنسُ يميِّزُ الأشياءَ بالسمات، والعلمُ يميِّزُها بالاسم.

وهذان القولان قريبان من الأول.

وأما المعنى: أبدأُ باسمِ الله، أو بدأتُ باسمِ الله، أو أبدَؤهُ باسمِ الله، أو أتبرَّكُ به.

قال عبد الله بن رواحة:

بسم الإله وبهِ بَدَيْنا
ولو عبدنا غيرَه شَقِينا[1]

وإنْ شئتَ أضمرتَ فيه الأمر، أي: قولوا: أو ابدؤوا باسمِ الله. دليلُه: ما ظهرَ من الأمرِ في قوله: ﴿قُلْ﴾.

وقال قوم: الاسمُ فيه فعلُه، وأنها مَغْناةٌ بالله. وأنشدوا للبيد:

إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر[2]

وقيل: إنما دخلَ الاسمُ لبيانِ إظهار العظمة، كما يُخاطَبُ الأشرافُ والملوكُ فيقال: خدمةُ حضرةِ فلان، ويعنونَهُ بالخدمة، ولكنْ يكتفون بذكرِ الحضرة إجلالاً له عن الابتذال.

وقيل: إنما دخلَ الاسمُ فيه ليكون فرقاً بين اليمينِ والتيمُّن، فإنه لو قال: «بالله» لأُشْبِهَ اليمينَ والقَسَم، فلما قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ عُلم أن الله تعالىٰ أَمَرَ عبادَهُ أن يتبركوا باسمهِ ويتيمَّنوا به.

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٤٢، وفيه ثلاثة من أبيات مشطور الرجز، كان يتمثل به المسلمون في يوم الخندق وهم يحفرون وينقلون التراب، وآخرها هو:
فحبَّذا ربّاً وحَبَّ دِينا

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٧٩. وينظر في هذا تفسير الطبري ١/ ٤٠.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهِ﴾

اعلم أن هذا الاسمَ لا يُشْبِه سائرَ الأسماءِ المشتقةِ من الصفات، كالقادرِ، والعليمِ، وأشباهِهما. وهو اسمٌ ممنوع، ومعناه أنه لا يُسَمَّىٰ به غيرُ الله تعالىٰ. قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾(١).

وأهلُ الجاهلية لما استحوذَ عليهم الشيطانُ حملهم أن يسمُّوا بعضَ أصنامهم بهذا الاسم، فصرفَ الله ألسنَتهم عن ذلك، ولم يمكِّنهم من التسميةِ به، فقالوا: «واللات»(٢).

وفي قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ معنيان:

أحدهما: هل تعلمُ له مَثَلاً في صفاتهِ؛ لأن السَّمِيَّ يكونُ بمعنى المِثْل(٣).

والمعنى الثاني: أي هل تعلمُ أحداً يُسَمَّىٰ «الله».

وقد قال بعضُ أهلِ المعرفة إن أسماء الله تعالىٰ كلَّها تصلحُ للتخلُّق بها سوىٰ «الله» تعالىٰ، فإنه يصلح للتعلُّق لا للتخلُّق(٤).

وكلُّ اسمٍ من أسماءِ الله تعالىٰ يُنبىءُ عن صفةٍ أو صفتين. كالقادرِ فإنهُ ينبىءُ عن ذي قدرة، والقُدُّوسِ فإنه منزَّهٌ عن العيوب، والمؤمِن فإنه يُنبىءُ عن خالقِ الأمنِ، ومعطي الإيمان، وتَصَدُّقِ المواعيدِ بالوفاء.

---

(١) سورة مريم، الآية ٦٥.

(٢) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨٠]. قال مجاهد: اشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز. تفسير ابن كثير ٢/ ٢٦٩.

(٣) المَثَل والمِثْل بمعنى.

(٤) هذا كلام «بعضهم»، وإلا فإن هناك من إسمائه سبحانه ما لا يجوز التسمي به، مثل الرحمٰن والبارىء... قال ابن كثير رحمه الله:... والحاصل أن من أسمائه تعالىٰ ما يسمّى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمٰن والخالق والرازق ونحو ذلك... تفسير ابن كثير ١/ ٢١.

فأمّا هذا الاسمُ الشريفُ فإنه يُنبىءُ عن الذاتِ المتَّصفةِ بجميعِ الصفاتِ العُلىٰ، وينوبُ عن سائر الأسماءِ الحسنىٰ. ولهذا المعنىٰ اختصَّ بكلمةِ التوحيد وشهادةِ الإيمان، في قولنا: «لا إلٰه إلا الله» دونَ غيرِهِ من الأسماء. وقد أجمعَ المحققون على أنه الاسمُ الأعظم[1].

ولأهل اللغة في اشتقاقه ستة أقوال[2]، على طريق الاختصار نذكرها:

الأول: أنه مشتقٌّ من الإله، وهو الاعتماد. يقال: أَلِهْتُ إلى فلان أَلَهُ إلهاً: إذا فزعت إليه معتمداً عليه. وأنشدوا:

أَلِهْتُ إليها والركائب وُقَّفٌ

والثاني: أنه مشتقٌّ من التألُّه، وهو التعبُّد والتنسُّك. يقال: أَلِهَ إِلٰهةً، وتألَّه تألُّهاً، أي تعبَّد. وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[3]، كان [يقرؤها] «يذرك وإلاهتك»[4]. وأنشدوا:

لـلّـه دَرُّ الـغـانـيـاتِ الـمـدَّه   سبَّحن واسترجعنَ من تألُّه[5]

(١) لا يعرف اجتماعهم على هذا، بل هو قول كما ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٩. بل هو القول الثاني من بين أربعة عشر قولاً وقف عليها الحافظ ابن حجر العسقلاني وسردها في فتح الباري ١٢/٥٢٦ ـ ٥٢٧.

(٢) ذكر صاحب القاموس المحيط أنه اختلف فيه على عشرين قولاً. . . أصحُّها أنه عَلَمٌ غير مشتق. وأصله إلٰه ـ كفِعَال ـ بمعنى مألوه. (مادة أله).

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٢٧، في قوله تعالىٰ: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾.

(٤) تفسير الطبري ٩/١٧ قال: بمعنى ويذرك وعبودتك. وابن كثير ٢/٢٣٩ قال: إلاهتك أي عبادتك. وما بين المعقوفتين زيادة من عند المحقق مما يفهم من سياق التفسيرين المذكورين.

(٥) هو قول رؤبة بن العجاج. وأورد هذا الوجه ابن كثير في تفسيره ١/١٩ وزاد عليه.

والثالث: أنه مشتقٌّ من الوَلَه، وهو ذهابُ العقل، لفقدانِ من يعزُّ عليك. وهو في الأصل «أَله» فقلبت الهمزةُ واواً، كما فعلوهُ في إشاح وإكاف فقالوا: وِشاح ووِكاف. فمعناهُ على هذا القول: إنَّ القلوبَ تولَّهُ بمحبَّتِهِ وتشتاقُ إلى رؤيته.

والرابع: أنه مشتقٌّ من قولهم: لاهَ يَلُوه، ومعناه: احتجب. وأنشدوا:

لاهتْ فما عُرِفَتْ يوماً بخارجةٍ   يا ليتها خرجتْ حتى رأيناها

والله تعالىٰ ظاهرٌ في الربوبيةِ بالدلائلِ الدالّةِ عليه، مُسْتَخْبٍ في الكيفيةِ عن أوهامِ الخلائقِ في الوصولِ إليه وإدراكِ كنهه.

الخامس: أنه مشتقٌّ أيضاً من لاهَ يَلُوه[١]، ولكنَّ معناهُ ارتفع. ولهذا تسمَّى الشمسُ إلاهة[٢]. وأنشدوا:

تزوجنا من الدهماءِ أرضاً   وأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا

السادس: أنه مشتقٌّ من أَلِهت في الشيء إذا تحيرت فيه، وأنشدوا:

وبيداءَ تيْهٍ تَأْلَهُ العينُ وسْطها   محققة غبراء صَرْماً سَمَلَّق[٣]

فالله تعالىٰ تتحيَّرُ[٤] العقولُ في كيفيةِ ذاتهِ وصفاته.

واعلم أن الإلهيةَ صفةٌ من صفاتِ ذاته، ومعناها: القدرةُ على الاختراعِ والابتداع، والاستحقاقُ لأوصافِ العلوِّ والارتفاع، والانفرادُ

---

(١) في الأصل زيادة «أيضاً».

(٢) كما تطلق اللفظة على الحية العظيمة.

(٣) الغبراء: الأرض، ومن السنين: المجدبة. والصرم: المنقطع، والسمَلَّق: البحت، وبسكون الميم وفتح اللام بدون تشديد: القفر الذي لا نبات فيه.

(٤) في الأصل: يتحير.

بالخَلْقِ والأمر، ولا يكونُ إلهاً حتى يكون خالقاً مقتدراً مدبِّراً، غيرَ محتاج ولا مضطر. قال الله تعالىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾.

ثم بيَّن في فحوى كلامه، ومعناه أن الإله من يَخْلُقُ ويرزقُ ويقدرُ ويدبِّر ويغلبُ، فقال تعالىٰ: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1].

فمن لم يكن متّصفاً بالخلقِ والرزقِ والتقديرِ والتدبيرِ والعلوِّ والغلبةِ فليس بإلٰه وإنْ عُبد، بل هو معبودٌ ومتعبَّد.

قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

اعلم أنهما اسمانِ مشتقّانِ من الرحمة. والرحمةُ إرادتُه الخيرَ بعبادته[2].

فالرحمٰنُ معناه ذو الرحمة. والرحيمُ: معناه الراحم، كالنَّديم والنَّدْمان.

وقال بعضُهم: الرحمٰن ينبىءُ عن مبالغةِ الوصف، وذلك أن فَعْلان من أبنيةِ المبالغة، كما يُقال: غَضْبان وعَطْشان للممتلىء غَضَباً وعَطَشاً.

فالرحمٰن يُنبىءُ عن عموم رحمتهِ للكافرين، والمؤمنين، والصغارِ، والكبارِ، والعقلاءِ، وغيرِهم.

والرحيمُ ينبىءُ عن خصوصِ رحمتهِ للمؤمنين. قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[3]. وجاءَ في الأدعية: «يا رحمانَ الدنيا ورحيمَ الآخرة».

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٩١.

(٢) هكذا في الأصل، وقد يكون الصحيح: بعباده.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٣ في قوله تعالىٰ: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾.

فالرحمٰنُ وإن كانَ عامَّ المعنى فهو خاصُّ اللفظ، لا يُسمَّى به غيرُ الله تعالىٰ. والرحيمُ وإن كانَ خاصَّ المعنى فهو عامُّ اللفظ، يسمَّى به غيرُه وإنْ كان مجازاً.

وقال ابنُ عباس: إنهما اسمانِ رقيقان، أحدُهما أرقُّ من الآخر[1]، والرحمٰن أخصُّ من الرحيم، لأنه يتلو «الله» سبحانه في الممنوعة، بأنْ لا يُسمَّىٰ به غيرُ الله. ولهذا اقترنَ بالله اقترانَ اختصاصٍ حتى لا يكادُ يفارقُه.

فكما أن الله تعالىٰ عمَّم الموجودات خَلْقاً؛ عمَّمهم الرحيمُ بإيصالِ المنافع إليهم. وهذا الاسمُ أكثرُ ما ذُكر في التوراة، فنقمَ اليهودُ على النبيِّ ﷺ في ذلك وقالوا: ما لك تُقِلُّ ذكرَ الرحمٰنِ في القرآن وقد ذكرهُ في التوراة كثيراً؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2].

فلما سمع المشركون ذلك قالوا: ما الرحمٰن؟ لا نعرفه! فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[3] الآية. وأنزل أيضاً: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾[4].

والمعنى الذي اقتضى تقديمَ الله على الرحمٰن، وتقديمَ الرحمٰنِ على الرحيم، هو أن «الله» أخصُّ أسمائه، وهو أشرفُها عنده، وهو عَلَم. ثم يتلوهُ في هذين المعنيين: «الرحمٰن»، ثم «الرحيمُ» من الأسماءِ المشتركةِ بين الله سبحانه وبين خلقهِ، فيكونُ له حقيقةً ولغيرهِ مجازاً.

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٤٤، تفسير ابن كثير ١/ ٢٠. وانظر التعليق عليه في ص ١٠١.
(٢) سورة الإسراء، الآية ١١٠.
(٣) سورة الفرقان، الآية ٦٠.
(٤) الآيتان الأوليان من سورة الرحمٰن.
وورد قول اليهود والمشركين في سبب نزول الآية الكريمة من سورة الإسراء في أسباب النزول للواحدي ص ٢٤٨.

فـ «الله» يشيرُ إلى انفراده قبل الخلق.

و «الرحمٰن» يشيرُ إلى إيجادهِ الخلائقَ كرماً منه وفضلاً.

و «الرحيم» يشيرُ إلى إحسانهِ إليهم أبداً.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾:

اعلم أن «قل» لفظةُ أَمْر، كما سيأتي بيانُ ذلك.

فإن قيل: ما معنىٰ ذكرِ كلماتِ الأوامرِ في التلاوة؟

قلنا: لِما سيأتي جوابُه في الردِّ على أهلِ الجهلِ إن شاءَ الله تعالىٰ.

قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

اعلم أن ﴿هُوَ﴾ عند أهلِ [اللغة][1] إشارةٌ إلى مذكرٍ غائب، كما أن «هي» إشارةٌ إلى مؤنَّثةٍ غائبة.

وكلمة ﴿هُوَ﴾ عند أهلِ اللغة محتاجةٌ إلى صِلَةٍ تعقبُها حتى تكونَ مفيدة، فلا يجوزُ أن يُقال: «هو» ويُسْكَتَ عليه؛ حتى يُوصَلَ به، نحو: قائم، وقاعد، وحيّ، وموجود، وشبهُ ذلك.

وأما عند أهلِ العلم فهو ليس باسمٍ ولا صفة، ولكنه إشارةٌ إلى الذات، ودالَّةٌ عليه، ومُخْبِرَةٌ عنه.

وقيل: إخبارٌ تامٌّ عن اللّهِ مستغنٍ عن الصِّلة، وذلك لاستغراقهم في مشاهدةِ الحقّ، فإذا سمعوا ﴿هُوَ﴾ لا يَسْبِقُ إلى قلوبهم سوى الله تعالىٰ.

---

(١) إضافة من عند المحقق.

وفي الحاشية: وقال الواسطي: وهو حرف وليس باسم ولا صفة، ولكنه كناية عن الذات وإشارة إليه... وفيه تتمة... ثم حديث عن الأسماء والصفات نقلاً من بعض المشايخ.

وقال بعضهم: إن ﴿هُوَ﴾ يُخبر عن أوّليتهِ وآخريّته باعتبارِ المخارج، لأن الهاء مخرجُها من أقصى المخارج للحَلْق، والواوُ مخرجُها من أولِ المخارج، وهو الشَّفَة، وكأنه يشيرُ إلى أنه هو الأوّلُ والآخِر.

وقال بعضهم: كاشفَ العامَّ بأفعاله، أفلا ينظرون في نظائرها؟ وكاشَفَ الخاصّ[1] بأسرارِ أفعاله، فقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]، وكاشف خاصّ الخاصّ بهُويّته. فأهلُ العامِّ استدلوا بالصَّنْعَة على الصانعِ، والخاصُّ شهدوا الصنعةَ حين أَظهرها، وخاصُّ الخاصِّ شهدوا الصانعَ حين يخلق[3]!

قوله: ﴿أَحَدٌ﴾:

قال الزجاج[4]: أصلُ «أحد»: وَحَد. يقال: وَحُدَ يَوْحُدُ فهو وَحَدٌ، كما يُقال: حَسُنَ يَحْسُن فهو حَسَنٌ، فقُلبت الواو ألفاً لانفتاحِ ما بعدها، كما قالوا أناة، ونظائرها من اللغة[5].

فإن قيل: «الله» سبحانه وتعالىٰ معرفة، و «أحدٌ» نكرة، والمعارفُ لا توصفُ بالنكرات؟

---

(١) في الأصل: خاص الخاص. لكن المثبت هو ما يقتضيه السياق.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٥.

(٣) في الحاشية كلام طويل جاء في أوله: وقال ابن عطاء: هو المتفرّد بإيجاد المفقود، والمتوحِّد بإظهار الخفيات. وسئل الجنيد عن معنى هو فقال... هو لا إله إلا هو...

(٤) العالم النحوي أبو إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري. ولد ومات في بغداد سنة ٣١١هـ.

(٥) قال الزجاج: وهمزة «أحد» هذا بدل من واو، وإبدال الهمزة مفتوحة من الواو قليل، من ذلك: امرأة أناة، يريدون وناة، من الوني وهو الفتور، كما أن أحداً من الوحدة. تفسير البحر المحيط ٨/ ٥٢٩.

قلت: «أَحد» لمّا صارَ نعتاً لله وحدَه استغنىٰ عن التعريف؛ لأنه صارَ معرفة.

وجوابٌ آخر، وهو أنه أُضمر فيه «هو»، تقديرُه: هو الله هو أحد.

قلت: وقد تكون فائدةُ تنكيرِ الصفةِ للتعظيم، لأن التنكيرَ تارةً يُراد به التعظيمُ كما نحنُ فيه، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[1].

قال الفرّاء: يحتمل أنه لم ينزل بمرة، وإنما نزلت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾، فسئل عن كميّته؛ فنزلت ﴿أَحَدٌ﴾.

والأحد يدلُّ على بينونيتهِ عن خَلْقه من خَلْقه في جميعِ الصفات، لأن الأحدَ لنفي ما يُذْكَرُ معه.

قال ابن عطاء[2]: معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: هو المتفرِّدُ[3] بإيجادِ المفقودات، المتوحِّدُ بإظهارِ الخفيّات.

ويشتقُّ من هذه اللفظةِ ثلاثةُ أسماء: أَحَد، ووَاحد، ووحيد.

وجُوِّزَ إطلاق الأحدِ والواحدِ على الله تعالىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[4]، ولقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

اختلفوا في «الوحيد»: هل يجوزُ أن يُسمَّى به الله تعالىٰ أم لا؟

فقال بعضُهم: لا يجوز، لأن الوحيدَ إنما يُجعل على الانقطاعِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٧.

(٢) لعله عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني (ت ١٥٥هـ) الذي ورد ذكره في ص ٣٠ أيضاً. وله ترجمة في تهذيب الكمال ١٩/ ٤٤١.

(٣) في الأصل: المنفرد.

(٤) قال الله تعالىٰ: ﴿قل إنما أنا منذر وما من إلٰه إلا الله الواحد القهار﴾ سورة ص الآية ٦٥.

من الأشباهِ والنظائر مع وجودهِ. تقول العربُ: بقيتُ وحيداً، أي ذهبَ رفقائي ونظرائي؛ وليس لله نظيرٌ ولا شبيهٌ فيوصفُ بأنه انقطعَ عنهم.

وقال بعضُهم: يجوزُ أن يقال لله «وحيد» على معنى الوحدانية، لا على معنى الانقطاعِ من الأصحاب. قال الله تعالىٰ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪﴾[1].

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ في فرعِ التنزيهِ والردِّ على ذوي الجهلِ إيضاحُ ما في ذلك من التنزيه.

قولُه عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾:

اعلم أن عباراتِ المفسرين قد اختلفتْ في معناه:

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الصمد: الذي ليس فوقه أحد.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الصمد: هو المستغني عن كلِّ أحد، ويحتاجُ إليه كلُّ أحد.

وقال سعيدُ بن المسيِّب[2]: الذي لا أحشاءَ له.

وقال الشعبيُّ[3]: الذي لا يأكلُ ولا يشرب.

---

(١) سورة المدثر، الآية ١١. وفي الحاشية: نزلت في الوليد بن المغيرة. و«وحيداً» حال من الياء، أي: ذرني وحدي معه فإني أكفيكه. أو من التاء، أي: ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد. أو من العائد المحذوف، أي: مَنْ خلقته فريداً لا مال له ولا ولد، أو هو منصوب على الذم، فإنه كان ملقباً به فسماه الله تهكماً. . . .

(٢) الفقيه المدني، أحد الأعلام. قال مكحول وقتادة والزهري: ما رأيت أعلم من ابن المسيب. وقال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. ت ٩٤هـ. العبر ١/ ٨٢.

(٣) الحبر العلامة أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي. عالم زمانه. ت ١٠٤هـ. المصدر السابق ١/ ٩٦.

وقيل: هو الذي جلَّ عن شبهِ المصوِّرين.

وقال أبو موسى الرضي: هو الذي أَيِسَتِ العقولُ عن الاطّلاع على كيفيتهِ.

وقال محمد بن الترمذي: الأزليُّ بلا عدد، الباقي بلا أَمَد، القائمُ بلا عَمَد.

وقال مقاتل بن حيان[1]: الذي لا عيبَ له.

وقال الربيع: الذي لا تعتريهِ الآفات.

وقال ابن عباس فيه قولاً جامعاً، وهو: السيِّد الذي كَمُلَ في سُؤْدَدِه، والشريفُ الذي قد كمل في شرفه، والعظيمُ الذي قد كملَ في عظمته، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، والغنيُّ الذي قد كمل في غناه، والحَكَمُ الذي قد كملَ في حكمه، وهو الذي قد كمل في أنواعِ الشرفِ والسُّؤدد، وهو الله الواحدُ القهار.

وقال أهلُ اللغة: الصمد: الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج، ويُقْصَد إليه في الرغائب.

يقال: صَمَدْتُ فلاناً أصْمِدُه صَمْداً، على مثال: قصدتُ فلاناً أَقْصِدُه قَصْداً.

فالصَّمدُ هو المقصودُ، كالقبضِ بمعنى المقبوض، والنقصِ بمعنى المنقوص، والنصِّ بمعنى المنصوص[2]. وأنشدوا:

ألا بكَّرَ الناعي بخُبْرِ بني أسدْ   بعمرو بن مسعودٍ بالسيدِ الصَّمدْ[3]

---

(١) مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي. مات قبل ١٥٠هـ بأرض الهند.

(٢) في الحاشية بيان بأقوال آخرين قيلت في معنى الكلمة، تراها في تفسير الطبري خاصة.

(٣) عمرو بن مسعود من بني أسد، قتله النعمان بن المنذر مع خالد بن نضلة. والناعي: الذي يأتي بخبر الميت. والبيت في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٧٢، قالته هند بنت معبد بن نضلة تبكي عمَّيها الأسديين.

وقال الجنيد[1]: الصمد: الذي لم يَجعلْ لأعدائه سبيلاً إلى معرفته.

وقال جعفر الصادق رحمه الله: الصمدُ خمسةُ أحرف: فالألفُ دليلٌ على أحديتهِ، واللامُ دليلٌ على إلٰهيته، وهما يُدْغمان ولا يَظْهران في اللفظ، فدلَّ ذلك على أن أَحديته وأُلوهيته خفيَّةٌ لا تُدْرَكُ بالحواس، ولا يُقاسُ بالناس. فخفاؤه في اللفظِ دليلٌ على أن العقولَ لا تُدركه ولا تحيطُ به علماً، وظهورُه في الكتابةِ دليلٌ على أنه يَظْهَرُ لقلوبِ العارفين، ويبدو لأعينِ المحبين في دارِ السلام. والصادُ دليلٌ على صدقهِ، والميمُ دليلٌ على مُلكه، وهو المَلِكُ على الحقيقة. والدالُ علامةُ دوامِهِ في أبديّتهِ وأزليتهِ[2].

قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

فمعنى ﴿لَمْ يَلِدْ﴾: أي لم يتولَّدْ منه شيء.

و ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي لم يتولَّدْ عن شيء.

وتلخيصه: ليس بوالدِ ولا مولود.

---

(١) الجنيد بن محمد النهاوندي، شيخ الصوفية. تفقه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، كما صحب الحارث المحاسبي. أتقن العلم، ثم أقبل على شأنه وتعبد. ت ٢٩٧هـ. سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦.

(٢) وردت معظم الأقوال السابقة، في تفسير الطبري ٣/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، وابن كثير ٤/ ٥٧٠، وروح المعاني ٣٠/ ٤٩٠. والقول الأخير كلاميّ، أو إشاري.
وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير «الصمد»: وكل هذه صحيحة، وهي صفات ربِّنا عزّ وجلّ، هو الذي يُصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك. تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٧٠.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾:

هو تنزيهٌ سنذكره في فرعِ التنزيهِ للباري سبحانه وتعالىٰ، ومعناه الشِّبْهُ والمِثْل، وجمع الكُفْءِ[١] أَكْفاء، وهو من المكافأةِ والموازاة، وهي الموازاةُ والمعارضة بالسويَّة. يُقال: كَفَأَ الميزانُ ويَكْفَأ: إذا رَجَح إحدىٰ كفَّتَيْه على الأخرى.

وقوله: ﴿أَحَدٌۢ﴾: معناهُ هو أحد. ورُفع على التقديمِ والتأخير، معناه: ولم يكنْ له أحدٌ كُفُوًا.

وقال المبرِّد[٢]: ﴿أَحَدٌ﴾ الثاني مباينٌ للـ ﴿أَحَدٌ﴾ الأول، وهو أنه سبحانه بهذه الصفاتِ التي تقدَّمت من الإلهية، والصمدية، ونفي التولُّد والتوالد، ونفي المِثْل والشِّبْه لأحَد، لا يُشَارَكُ فيها ولا يُزَاحَمُ عليها ولا يَسْتَحِقُّها سواه.

وقال عبد خَيْر[٣]: سُئل عليُّ بن أبي طالب عن تفسيرِ هذه السورة فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بلا تأويلِ عدد. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ بلا تبعيضِ مدد. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكونَ موروثاً هالكاً. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيكونَ إلٰهاً مشارَكاً. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ﴾ من خلقهِ ﴿كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

روي عن أنس رضي الله عنه: **أتتْ يهودُ خيبر[٤] النبيَّ ﷺ**

---

(١) في الأصل: الكفؤ.

(٢) أبو العباس المبرِّد، محمد بن يزيد. إمام العربية في زمانه. ت ٢٨٦هـ.

(٣) هو عبد خير بن يزيد الهمداني. يروي عن علي رضي الله عنه. وهو مخضرم معمّر. كوفي تابعي ثقة. تهذيب الكمال ١٦/٤٦٩.

(٤) أورد ابن جرير الطبري عدة روايات حول استفسار اليهود من النبيّ ﷺ عن صفات الربّ جلّ وعلا، تفسيره ٣٠/ ٢٢١ ـ ٢٢٢، كما أورد ابن هشام خبراً في ذلك في السيرة النبوية ١/ ٥٧١. وقال العلامة الآلوسي في روح المعاني (٣٠/ ٤٨٥): وكون السائلين من اليهود مروي عن الضحاك وابن جبير وقتادة ومقاتل، وهو ظاهر في أن السورة مدنية.

فقالوا: يا أبا القاسم، خلق الله عزَّ وجلَّ الملائكةَ من نورِ الحجاب، وآدمَ من حمأٍ مسنون، وإبليسَ من لهبِ النار، والسماءَ من دُخان، والأرضَ من زَبَدِ الماءِ، فأخبرنا عن ربِّك؟

قال: فلم يُجبهم النبيُّ ﷺ. فأتاه جبريل وقال: يا محمد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها. ليس له عروق يتشعَّبُ إليها. ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا جوفَ له، ولا يأكلُ ولا يشرب. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ليس له ولدٌ ولا والدٌ ينتسبُ إليه. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ليس شيءٌ من خلقِهِ يَعْدِلُ مكانَهُ، يُمسكُ السماواتِ أنْ تزولا.

هذه السورةُ ليس فيها ذكرُ جنةٍ ولا نار، ولا دنيا ولا آخرة، ولا حلالٍ ولا حرام، انتسبَ الله سبحانه إليها، فهي له خالصة:

«مَنْ قرأها مرةً بوركَ عليه، ومَنْ قرأها مرتين بوركَ عليه وعلى جيرانه[(١)]، ومن قرأها ثلاثاً بوركَ عليه[(٢)] وعلى أهلِهِ وجيرانه، ومن قرأها ثماني عشرةَ[(٣)] مرةً بُني له اثنا عشرَ قصراً في الجنّة، وتقول الملائكة: انطلقوا بنا ننظرْ إلى أخينا. ومن قرأها عشرين مرةً جاءَ يومَ القيامة مع الأنبياء هكذا ـ وأشار رسول الله ﷺ بإصبعه السبّابة، أو قال المشيرة والوسطى ـ ومن قرأها خمسين مرةً غُفر له ذنوبُ خمسٍ وعشرين سنة، سوى الدماءِ والأموال. ومن قرأها أربع مئة [مرة] كان له أجرُ أربع مئةِ شهيد، كلّ واحدٍ قد عُقر جواده وسُفك دمُه. ومن قرأها ألفَ مرةٍ لم يخرجْ من الدنيا حتى يرى مقعده[(٤)] من الجنّة، أو يرىٰ له غيره»[(٥)].

---

(١) في تهذيب ابن عساكر: وعلى أهله.

(٢) ورد هنا وفي الجملة السابقة «علي» بدل «عليه».

(٣) هكذا... وفي المصدر السابق: اثني عشر.

(٤) في الأصل: يقعده.

(٥) رواه ابن عساكر بألفاظ متقاربة في تاريخه (تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٤/ ٤٤٢) عند ترجمة حمزة بن أحمد بن فارس أبو يعلى بن كروس السلمي (ت٥٥٧هـ)... وقال الشيخ عبد القادر بدران (مهذب الكتاب ومرتبه): علائم الوضع ظاهرة على هذا الحديث فلا تحتاج إلى إثبات.

قال أبو عبد الرحمٰن: ويروى[1] ذلك في مجلس.

قال بعضُ أهل الحديث: أصحّ ما روي في فضائلِ السور من الأحاديث الذي رُوي في فضلِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولهذا ذُكر في الصِّحاح[2].

فإن قيل: ما الحكمةُ في أنه يعودُ عليه بركةٌ واحدةٌ بقراءتها مرةً واحدة، ولا يعودُ على غيره مِن ذلك شيء؟ ولِمَ بورك عليهِ وعلى جيرانِه بقراءتها ولم يباركْ على أهلِ بيته؟ ولِمَ بورك عليهِ[3] وعلى جيرانهِ وأهلِ بيتهِ بقراءتها ثلاثاً؟ ولِمَ كان لمن قرأها ثماني عشرة مرة بُني له اثنا عشر قصراً فقط، وتجيءُ إليه الملائكةُ دونَ ما تَقَدَّم؟ ولِمَ قالوا: أخينا؟ ولِمَ كان لمن قرأها عشرين مرةً أن يجيءَ يومَ القيامة مع الأنبياءِ كالوسطىٰ والسبابةِ فقط دون غيرهما من الأصابع، إلى آخرِ الحديث؟ ولِمَ خصَّصَ هذا الأجرَ بهذه القراءةِ المحصورةِ دونَ غيرها؟

فالجواب:

أمّا قراءتها مرةً واحدة، وهو أولُ العدد، فنفعتْ واحداً، لأنه أولُ العدد، فناسبَ أن يقعَ على واحد.

وأما تقديمُ الجيرانِ في البركةِ على أهلِ بيته، فلأنَّ من العادةِ إذا

---

(١) في الأصل: ويري. والمقصود القراءة باستمرار في مجلس واحد.

(٢) من ذلك قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتَعْدِلُ ثلث القرآن». وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». روى الأول البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد ٦/ ١٥٠، والآخر متفق عليه، البخاري في المصدر المذكور، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قل هو الله أحد ٤/ ١٩٩.

وحبذا لو قصر المؤلف جهده على الصحيح، وبذل جهده لمعرفة درجة ما يورد من أحاديث، قبل تحليلها ومعرفة الحكمة منها!

(٣) هذه الكلمة، ومثلها التي قبلها، وردت مرة أخرى هنا «علي»!.

وقعتْ رحمةٌ أو نعمةٌ على موضعٍ أو شخصٍ انتقلتْ إلى مَنْ حوله، لملازمةِ ذلك إلا نادراً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1]، لملازمةِ الجارِ لجاره، كما إذا صببتَ الماءَ في موضعٍ سرىٰ إلى الذي حوله، فكذلك الجار.

وأما الأهل، فإنهم قد يكونونَ ملازمين، وقد لا يكونون، بخلافِ الجار؛ ولهذا **أمرَ النبيّ ﷺ بإكرام الجار**[2]، لأن الجار إنْ كان صالحاً حصل لجاره بمجاورتهِ خير، لأنه **روي أن الجار الصالح**، أو العالم، أو هما، **يشفع** في أربعينَ من جيرانه[3]. وإن كان نحساً خفيّاً فلا يحصلُ للجارِ بذلك ضرر، لا من جهةِ إثمٍ ولا غيره، فإن كان مجاهراً بفسقه فمعلومٌ أنَّ الجيران يتأذَّون بذلك، ويجب عليهم ردعُه إن كانوا يقدرون على ذلك، أو يجبُ عليهم الاستعانةُ على ردعه، ويتأذَّون لما يرون منه.

كما عُلم أن للملازمة تأثيراً في الخيرِ والشر، والنفعِ والضُّر، فلما عَظُمَ أجرُ الجارِ تعدَّىٰ إليه الأجر، كما أن الماءَ إذا زادَ عن أرضهِ فاضَ إلى أرضِ الغير؛ ولأجلِ ذلك قُدِّمَ الجارُ على أهلِ البيت، والله أعلم.

وأمّا إذا قرأها ثلاثاً بُورك عليه[4]: لأنه الأصل، وعلى جيرانه:

---

(١) سورة النمل، الآية ٨.

(٢) قال عليه الصّلاة والسّلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ٧/ ٧٩.

(٣) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل البيت من جيرانه البلاء». رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى بن سعيد العطار وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٨/ ١٦٧. وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢/ ٢٢١ رقم ٨١٥.

(٤) في الأصل: علي!

لِما تقدَّم، وعلى أهلِ بيته: لأنهم أقربُ الناسِ إليه وأحبُّهم إليه غالباً.

وأما إذا قرأها ثماني عشرة مرةً بُني له اثنا عشر قصراً في الجنّة، فنقول ـ والله أعلم ـ: حصل له بقراءةِ المرةِ الأولى نصفُ قصرٍ لنفعهِ نفسَهُ، وبالمرةِ الثانيةِ النصفُ الآخرُ لنفعهِ جيرانَهُ. وإنما لم يحصلْ له بالمرةِ قصرٌ كامل، لأن الإنسانَ لا بدَّ له من حُورٍ في كلِّ قصرٍ يتلذَّذُ بهن، فيحصلُ بالقصرِ الواحدِ ما يُغني عن قصور، أو لأنه لم يحصلْ له بالمرةِ الواحدةِ إلا نصفٌ واحد، لكي يجتهدَ على تكثيرِ العمل، ليحصلَ له بذلك الأجرُ الكثير.

وأما الملائكةُ الذين ينطلقون إليه: لمحبتهم فيه لأجلِ ذلك.

وأما تسميتهم إيّاه أخاً، إما لأنه كإيّاهم في الإيمان، فهم إخوةٌ له في ذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، أو لأنه أخٌ لهم في كثرةِ التنزيه، لأن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قد حَوَتْ تنزيهَ الباري سبحانه، وإذا أكثرَ من قراءةِ هذه السورةِ الكثيرةِ التنزيه، فقد شاركَ الملائكة وواخاهم في كثرةِ التنزيه؛ فلذلك سَمَّوْهُ أخاً.

وأمّا إذا قرأها عشرينَ مرة: فقد حاز فضلاً كثيراً أعلى مما تقدَّم، فيجيءُ يوم القيامةِ مع أعلى الخلق، وهم الأنبياءُ والرسل.

وأما قوله: هكذا، وأشار، يشيرُ بذلك إلى أنه يجيءُ معهم ويكونُ قريباً منهم لفضله، وإنما خصَّ الإشارةَ بالسبَّابَةِ والوسطى، لأنهما أيسرُ للتمثيل، وأقربُ للتلاصق من غيرهما.

وأما إذا قرأها خمسينَ مرة غُفر له ذنوبُ خمسٍ وعشرين سنة، وإنما لم تعدلْ كلُّ مرةٍ سنةً، فيحتملُ أن يكونَ لما قدَّمناه، لأجلِ الاجتهاد على تكثيرِ العمل والمشقةِ لتكثيرِ الأجرِ والثوابِ، ولأن

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٠.

الشخصَ إذا طلبَ إكمالَ العددِ في الأجرِ زادَ عملَه، وإذا زاد عملُه زادَ خشوعُه، وإذا زادَ خشوعُه صفا قلبُه، وإذا صفا قلبُه اشتغلَ بالعبادة.

وأما الدماءُ والأموالُ، فلأنها من حقوقِ الآدميين، لا تسقط بالتوبة، بل بإبراءِ مَنْ له الحقُّ.

وأما مَنْ قرأها أربع مئة مرةٍ فله أجرُ أربع مئةِ شهيد؛ لأن التنزيهَ للباري تعالىٰ جهادٌ باللسانِ والجوارحِ والقلب، وجدالٌ ومدافعةٌ عن الدِّين، وهذا جهاد، بل في الحقيقة هذا أكثرُ لغيظهم، لأن الجهادَ الجثماني لا يصدر إلا بعد هذا الجهاد، فكلُّ مرةٍ كمعامَلةِ مجاهد، لما ذكرناهُ، فإذا قرأها أربع مئة مرةٍ كان أجرُها أجرَ أربع مئةِ مجاهدٍ ـ لما ذكرناه ـ قد عُقِرَ جوادُه وسُفِكَ دمُه، لتعظيمِ الأجرِ في القراءة.

وأمّا إذا قرأها ألفَ مرة لم يخرجْ من الدنيا حتى يرى مقعدهُ من الجنة، أو يراهُ له غيره، فلأنَّ الألفَ هي غايةُ أقسامِ العدد، والجنةَ هي غايةُ الأملِ والقصد.

وهذه الحِكَم المذكورةُ في هذا الحديث لم أرها لأحدٍ، وإنما قلتُها تفقُّهاً.

وأرجو من الله أن يكون صواباً لا نقصَ فيه، والله تعالىٰ أعلم[1].

---

(١) أدعو الله تعالىٰ أن يجزي المؤلف على نيته، وإلا فإن الحديث ـ كما ذكر ـ ظاهر الوضع. وتحليله أو ما رتبه عليه من أمور يخصّه...

فرع
في تنزيه الباري سبحانه وتعالى[1]

اعلم أنَّ الله سبحانه صادقٌ فيما بهِ اتّصف، وكاملةٌ فيه صفاتُ العُلىٰ والشَّرف، ومنزَّه عن حدِّهِ بزمان، وحَصْرِه بمكان، وعن النقصِ والوَكَف[2]، العالمُ بما يكون في المستقبل وما سلف، المنزَّهُ عن الظلمِ والجَوْرِ والسَّرَف، سبحانه! تنزَّهَ وتَقَدَّسَ عن النقصانِ في الذاتِ والصِّفات.

وها نحن نذكر فرعاً مختصراً في تنزيهِ الربِّ سبحانَهُ مفصَّلاً، واضحَ الدلائلِ العقلياتِ والنقليات، وبالله المستعان.

فأمّا قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

اعلمْ أن هذه الكلمةَ دلَّتْ على أنه سبحانه باقٍ، موجودٌ، أوَّليٌّ، آخِريٌّ، الواحدُ، الأحدُ، المعبود.

فأمّا الدلائلُ على وجوده سبحانه وتعالىٰ فكثيرةٌ لا يُحصى

---

(١) هو وإن بدا فرعاً لكنه أطول من كل الفصول! وفيه يورد المؤلف أقوال المخالفين، كما يتوسَّع فيورد أقوال أهل الكلام وتفريعاتهم في العقيدة، والمؤولين من أهل السنة، يورد الأقوال والأدلّة والمناقشات... ويبين في آخر هذا الفصل أن ما ذكره هو مذهب أهل التأويل، وأن مذهبه مذهب أهل السلامة، يعني السلف رحمهم الله (ص ٨٥ ـ ٨٦).

(٢) الوكف: الجور والفساد.

عددُها، ولا يتنامىٰ أمدها، ولا يخفىٰ مجملها ولا مفردها، ولا يفنىٰ أبدُها، ولا يضعفُ عمدُها، ولا يتغيَّرُ رشدها. قد أوضحَ الله صدقها، وجعلها حجَّةً لذوي الحقِّ وسدَّها.

وسنوضِّح بعد قليل [ما] يهتدي به العاقلُ والجاهل، ونردُّ على المخالفِ والمجادل. وما حجتُه في الحجج إلا أضعفُ من بيتِ العنكبوت في البيوت، ومن البعوضةِ في الملكوت، ومن الأهوية[1] الضعيفة، في الأجسام القويةِ الكثيفة. بل لا يهتدي إلى ذلك عقلُ المجانين والجهال، إلا من قد قدر. . .[2] على الضلال، فقولُهم باطلٌ ومحال.

وهؤلاء الزنادقةُ أنكروا وجود الصانع[3].

ومقالاتُ أهل الزيغ خمسة:

منهم الزنادقة، وهم الذين أنكروا وجودَ الصانع، وقالوا بقِدَم العالم، وجحدوا البعثَ والحسابَ، كما أخبرَ الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾[4]، فردَّ الله عليهم في هذه السورة بإشارتين:

إحداهما بقوله: ﴿هُوَ﴾، فإنه إشارةٌ إلى موجودٍ موصوف، وكنايتُه عن صفةِ معلومٍ موصوف.

والثانية: التعريف، وهو لا يفارقه أبداً.

المقالة الثانية مقالةُ أهلِ الشرك، الذين اعترفوا بالصانعِ ولكن أشركوا معه غيرَهُ، وهم أصناف:

---

(١) جمع هواء. ويطلق على كل فارغ.

(٢) كلمة غير واضحة، رسمها: لسـ.

(٣) ليس هذا من أسماء الله تعالىٰ التي تسمَّى بها سبحانه، أو سماه به رسوله ﷺ، وإنما يكثر هذا في كلام الفلاسفة وأهل الكلام، ليدلَّ به على الخالق عزَّ وجلّ. وهناك من العلماء من جوَّز هذا الإطلاق تبعاً للحديث الذي رواه الحاكم وصححه: «إن الله صنع كل صانع وصنعته». ويراجع للتوسع «معجم المناهي اللفظية» ص ٣٣٠.

(٤) سورة الجاثية، الآية ٢٤.

صنفٌ منهم عبدةُ الأوثانِ والأصنام، وصنفٌ منهم عبدةُ النيرانِ؛ اتخذوا مع الله شركاء، وجعلوا له من خَلْقِهِ أنداداً ونُظراء، واستمروا على ذلك حتى صاروا يتعجبون من النبيِّ ﷺ حيث دعاهم إلى توحيدِ الله تعالىٰ وطرحِ ما يُعبد سواه، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[1].

وأنكروا التوحيدَ ونفروا عنه، كما أخبرَ عنهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾[2]. فردَّ عليهم في سورة الإخلاص بقوله: ﴿أَحَدٌ﴾.

فالأحدُ هو الذي لا يُشابَهُ في ذاته، ولا يُماثَلُ في صفاته، ولا يُشارَكُ في أفعاله، ولا يُتَصَوَّرُ له مِثْل ولا شِبْه.

والمقالةُ الثالثة: مقالةُ الذين سماهم رسول الله ﷺ: «**مجوس هذه الأمة**»[3]، وهم القَدَرية، الذين جعلوا الله محلاً للحوادث، إذْ نسبوهُ إلى الجهلِ بالأشياء قبلَ وجودها، وزعموا أنه تعالىٰ غيرُ عالم بمعاصي العبادِ قبلَ فعلهم، فإذا فعلوا عَلِم، وإذا لم يكنْ عالماً بشيءٍ ثم صارَ عالماً فقد حدثَ له علمٌ لم يكن، ومَنْ حَدَث له صفةٌ لم تكنْ صارَ محلاً للحوادث.

---

(١) سورة ص، الآية ٥.

(٢) سورة الزمر، الآية ٤٥.

(٣) حديث: «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم لا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال». رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر ٤/ ٢٢٢ رقم ٤٦٩٢. وأورده الألباني في ضعيف سنن أبي داود ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ رقم ١٠١٠. وورد قبل هذا الحديث، في سنن أبي داود حديث: «القدرية مجوس هذه الأمة: إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»، وقد أورده الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٨٧ رقم ٣٩٢٥ وقال: حسن.

ونسبوهُ أيضاً إلى العجز، حيث قالوا: إن الله تعالىٰ لا يريدُ أن يُعصىٰ، ويُعصى قهراً! فزعموا أنه عاجزٌ لا يَقْدِرُ على توفيقهم، فردَّ الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وهو الذي لا تتعاوره العِلَل، ولا تتواطؤه الدُّول، ولا تجوزُ عليه الغِيَر، ولا تحيطُ به الأوهامُ والفِكَر.

والمقالة الرابعة: مقالة الذين جوَّزوا على الله التولد، وهم ثلاثة أصناف:

صنفٌ ادَّعوا أن له ولداً، وهم اليهود والنصارى، وطائفةٌ من مشركي العربِ الذين يزعمون أن الملائكةَ بناتُ الله!

وصنفٌ يقالُ لهم الباطنيةُ والفلاسفة، زعموا أن الباري هو العلةُ الأولى، وأنه تفكَّر في نفسه فتولَّدَ من فكرهِ الأصل. فردَّ الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

وصنفٌ من الحرميةِ[1] يقال لهم الزروانية[2]، زعموا أن يزدان وأهرمن كانا في بطن زروان، فسبقَ أهرمن وشقَّ بطن زروان وخرج منه يزدان،فيزدان في طلبه تمنى عليه خلصَ له الملك[3]، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾.

والمقالةُ الخامسة: مقالةُ الذين جوَّزوا على الله المِثْلَ والشِّبْهَ، وقاسوهُ على أنفسهم، فما استحسنوا من أنفسهم استحسنوه منه، وما

(١) هكذا في الأصل، ولعلها «الخرمدينية» وهم مثل «المسخية» قالوا بأصلين... النور والظلمة. الملل والنحل للشهرستاني ٢/٧٦.

(٢) فرقة لعلها تلحق بالمجوس، قالوا إن النور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية، لكن الشخص الأعظم الذي اسمه زروان شك في شيء من الأشياء، فحدث أهرمن الشيطان من ذلك الشك... المصدر السابق ٢/٧٤.

(٣) هكذا وردت الجملة في الأصل. وفي المصدر السابق: «... فكانا جميعاً في بطن واحد، وكان هرمز أقرب من باب الخروج، فاحتال أهرمن الشيطان حتى شق بطن أمه، فخرج قبله وأخذ الدنيا...».

استقبحوه من أنفسهم استقبحوه منه، وظنوا أن ذاتَهُ تُشبه ذواتهم، وصفاتُه تُشبه صفاتهم، وأفعاله تشبه أفعالهم، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، أي: ليس له نظيرٌ ولا شبيهٌ ولا مثيلٌ ولا عديلٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1].

قال أبو علي الروذباري[2]: وجدنا أنواعَ الشركِ ثمانيةً: النقصَ، والتقلبَ، والكثرةَ، والعددَ، وكونَه علّةً أو معلولاً، والأشكالَ، والأضداد.

فنفى الله سبحانه عن صفتهِ الكثرةَ والعددَ بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ونفى التنقُّصَ والتقلُّبَ بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

ونفى العلَّةَ والمعلولَ بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾.

ونفى الأضدادَ والأشكال بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

فخلصتْ له الوحدانيةُ وصفات الكمالِ والعلوِّ، فلذلك سُمِّيتْ سورةَ الإخلاص.

فإذا عرفتَ هذا ظهرَ لك أن الله تعالىٰ موجودٌ معبود، فقد اتفقَ أهلُ الهدىٰ وأهلُ الضلالةِ ممن ذكرنا أن لهم إلهاً موجوداً معبوداً، وإنما خالفوا في الصفات. وقد تقدَّم لك الدليل على عُدْم[3] ما قالوه من النقيصات.

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) اسمه محمد بن أحمد بن القاسم. من كبار الصوفية. له تصانيف في التصوف. سكن مصر، وأصله من بغداد. ت ٣٢٢هـ. تاريخ بغداد ١/ ٣٢٩.

(٣) العُدْم: الفقر. يعني افتقار كلامهم وأدلتهم.

ويدلُّ على وجوده وجوه:

أحدها: وجودُ العالَم ـ بفتح اللام ـ وجمعُه عالَمون، وهو لا واحدَ له من لفظه. واختلفوا في حقيقتهِ، فقال المتكلمونَ من أصحابنا وغيرِهم وجماعاتٍ من أهلِ اللغةِ والمفسِّرين: العالَمُ كلُّ المخلوقات. وبعضُهم يعبِّر عن ذلك بأن العالَم هو ما سوىٰ الله تعالىٰ. ولا فرقَ بين المعنيين.

وقال جماعة: هم الملائكةُ والإنسُ والجنّ.

وقيل: هؤلاء والشياطين. قاله أبو عبيدة[1] والفراء[2].

وقيل: الآدميون خاصة. حُكي عن حسينِ بن الفضل وأبي معاذ النَّحْوي.

وقال آخرون: هو الدنيا وما فيها.

قال الواحدي[3]: واختلفوا في اشتقاقهِ، فقيل: من العلامة، لأن كل مخلوق هو دلالةٌ وعلامةٌ على وجودِ صانعه وعظيمِ قدرته، وهذا يتناولُ المخلوقات، ودليلهُ قولُهم: العالَم مُحْدَث ـ بفتح الدال المهملة ـ وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[4].

وقيل: مشتقٌّ من العلم[5]، وهذا على مذهبِ من يخصُّه بمن يعقل.

---

(١) هو مَعْمَر بن المثنى البصري. من أئمة العلم بالأدب والفقه. ت ٢٠٩هـ

(٢) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. اللغوي المفسِّر. ت٢٠٧هـ.

ووورد في الأصل: هؤلاء الشياطين. والتصحيح من تفسير ابن كثير، حيث وَرد قولهما: عبارة عما يعقل، وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم.

(٣) أبو الحسن علي بن أحمد. العالم المفسِّر صاحب «أسباب النزول» وغيره. ت ٤٦٨هـ.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.

(٥) والعَلْم: العالَم.

فإذا تقرَّر هذا؛ فاعلم أنه دالٌّ على الوجود، إذ الموجوداتُ لا بدَّ لها من خالقٍ عقلاً، والخالقُ يجبُ أن يكون قديماً أزلياً ليكونَ مُحْدِثاً لما يوجد، وإلا فيلزمُ التسلسل، وهو محال[1].

الوجه الثاني: صفاتُ العالَم. وهي كثيرةٌ دالَّة على وجودهِ تعالىٰ.

فمنها: العجزُ إليه، وهو قسمان:

أحدهما: العجزُ القهري، وصورةُ ذلك: الأخرسُ مثلاً، لا يستطيعُ أن ينطقَ بحرفٍ واحد، وهو من أهونِ الأشياء، فصحَّ أن له إلهاً يُعَجِّزه عن مثلِ هذا، ليَعْلَمَ الموفَّقُ القدرةَ الأزليةَ من مثل هذا، إذ لو كان العبدُ يفعلُ من ذات نفسه لقدرَ على مثلِ هذا الفعل، فإذا كان لا يقدرُ على فعلِ شيءٍ من أهونِ الأشياء، فكيف يقدرُ على أصعب منه؟

فصحَّ أن الفاعلَ في العبد غيرُه، وذلك لأنَّ الغيرَ لا يخلو أن يكونَ مثله، أو دونه، أو فوقه.

فإن كان الأولَ والثاني فمحالان، لأنه إذا لم يقدرْ على الفعل بنفسهِ لنفسه، فكيف ذلك بغيره؟

وأمّا الثالثُ فلا يخلو: إما أن يقدرَ على جميعِ الأشياء بنفسه غيرَ مفتقرة إلى غيره في شيء من ذلك، فهو الخالق، وإما أن يفتقرَ، فهو مخلوق. فوجبَ وجودُ الإله سبحانه.

وقال: القسم الثاني: العجزُ السهوي، وذلك مثلُ الغلطِ والنسيان، كما إذا أردتَ أن تقول: جاء زيد، فتقول: جاء عمرو،

---

(١) يرد تفسير هذه الكلمة في أول سورة الفاتحة، وينظر خاصة تفسير الطبري ١/ ٤٨، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٣ ـ ٢٤.

ومرادُك زيد. فاعلم أنما أتىٰ بالغلطة المنحرفة عما تقصده هو ربُّك[1]. وهذا دالٌّ على وجوده، إذ لو كنتَ قادراً على القولِ بنفسك لما عجزتَ عن مثل هذا، وكذلك النسيان.

ومنها التغايرات، لأن جميعَ المخلوقاتِ لا تنحصر، وربما لا يتشابهُ اثنانِ منها الاشتباهَ الكليّ، وذلك دالٌّ على عظم قدرةِ الصانع. وكذلك الوالدُ نزلَ من صلبهِ الولدُ منيّاً، فإن المنيَّ في حالتهِ لا يُشابه ما نزلَ منه، فإذا صار ولداً كأبيه دلَّ ذلك على وجودِ الصانع، إذ بعد هذا التغايرِ العظيمِ والبعدِ حصلَ هذا التشابهُ القريب، فوجبَ كونُ فاعله إلهاً موجوداً.

وكذلك الفروعُ المغايرةُ للأصول، وذلك نحوُ الأعشابِ المختلفةِ والأشجار، كالوردِ الأحمرِ في غايةِ الحمرةِ وهو ناعمٌ في غايةِ النعومة، خارجٌ من أصلهِ وهو مغايرٌ له في اللونِ واللمسِ والطبع، وأشباهُ ذلك من التغايرات.

الوجه الثالث: صفاتُ الصانع، وتشملُ صوراً:

إحداها: التدبير، وهو يشملُ صوراً، كبعثِ المطرِ إبّانَ زمانه، والحَرِّ في أوانه، والهواءِ للسفن، وإهلاكِ من شاء وسلامةِ من شاء، وغيرِ ذلك من النجومِ الثوابتِ والسيَّارة، إذ النجمُ إذا خرجَ من موضعهِ ثم عادَ إليه، ولا عقلَ له، فمن أعاده سوى الله؟!

الصورةُ الثانية: حملُ السحابِ الماءَ وتسييرُه في الهواءِ مع ثقله،

(١) في الحاشية: وأما قوله تعالىٰ: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ [سورة الكهف، الآية ٦٣] فنسب النسيان إلى الشيطان هضماً لنفسه (؟)

قلت: في الآية دليل على أن النسيان ونحوه من الأمور المكروهة تنسب إلى الشيطان وتأدباً عن نسبتها إلى الله سبحانه، كما أوضحت ذلك في كتابي «الخضر» عند تفسير الآية الكريمة.

قال تعالىٰ: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾[1]. وحملُ السفنِ الثقالِ على الماء، وغيرُ ذلك من الصفاتِ المحيِّرة للعقولِ والأفهام.

الصورةُ الثالثة: الهداية، وبعثُ الرسل بالمعجزات، ونحوُ ذلك.

أما الهدايةُ، فإن الولدَ حين يولد يهتدي إلى ثدي أمِّهِ قبل كلِّ شيء، إذ لا يعيشُ بدون ذلك، ولا عقلَ له، بدليلِ عدمِ معرفتِهِ وفهمه وهدايتِهِ إلى غير ما لا ضرورةَ له إليه في حياته[2].

وبعثُ الأنبياء، وذلك لأنهم آدميون لا يقدرون على شيء، فإذا فعلوا هذه المعجزاتِ العظيمةَ مع إقرارِهم بأنها من الله تعالىٰ؛ علمنا وجودَهُ عقلاً ونقلاً.

وأما نحوُ ذلك فلا ينحصر، من اختلافِ الأصواتِ والأحوالِ من شخصٍ واحدٍ ولو مع كراهيتهِ ذلك. واختلافِ الناس ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]، وذلك فيه آياتٌ لذوي العقولِ ولذي الألباب. وأولو الألبابِ ذوو العقول، واللبُّ هو العقل، وجمعهُ ألباب. والعقلُ عندنا صفة يتهيّأ الإنسانُ بها لدركِ النظريات العقلية، وهي من قبلِ العلومِ الضرورية.

وقال أهلُ اللغة: العقلُ هو الرَّبْط، وهو مشتقٌّ من عَقَلَ البعير، لأن العقلَ يَعْقِل صاحبَهُ عما يضرُّه، فمن زالتْ منه هذه الصفةُ سُمِّي مجنوناً.

والمجنونُ هو الذي ألمَّتْ به الجنُّ، وإنما سمِّي مجنوناً لأنه جُنَّ

(١) سورة الرعد، الآية ١٢.

(٢) هكذا وردت العبارة، وقد تكون استقامتها بحذف «غير».

(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٤.

عقلُه، أي غُطِّي وسُتر. والجنُّ: السِّتر. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾[1]. وإنما سُمِّي الجنُّ جنّاً لأنهم مستورون، ومن ذلك سمِّي الجنينُ جنيناً، لأنه مجنونٌ ببطنِ أُمِّه، أي مستور. وهو على وزن فَعِيل، أي مفعول. مثل كَسير وحَريق، أي مكسورٌ ومحروق. وقد جاء فَعِيلٌ بمعنى فاعل، كقولك في الله: عليم، ورحيم، وسميع، أي: عالم، وراحم، وسامع.

فصحَّ أن جميعَ الموجودات بصفاتها دالَّة على وجودِهِ تعالىٰ.

فائدة: قيل لأعرابي: ما الدليلُ على وجودِ ربِّك؟ فقال: البعرةُ تدلُّ على البعير، والروثُ على الحمير، والخطوةُ على المسير، والسماواتُ والأرضُ يدلاَّن على اللطيفِ الخبير.

قولُه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

هذا دالٌّ على بقائِهِ دائماً أبداً لا انقطاعَ له ولا نَفاد، وذلك يجبُ أن يكون من صفاتِ الصانع، وإلا لزمَ أن يكونَ الأبدُ فانياً لفناءِ الصانع، وذلك محال.

قولُه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

اعلم أنَّ لفظةَ ﴿قُلْ﴾ دالَّةٌ على رسالةِ نبيِّنا ﷺ، مصرِّحةٌ بذلك، دالَّةٌ على أنه مبعوثٌ إلى جميعِ الخلائق، ويدلُّ على ذلك وجوه:

أحدها: العلامةُ التي كانت بين كتفيه[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

(٢) قال السائب بن يزيد: ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وقع. فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، وتوضَّأ. فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم بين كتفيه. رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب خاتم النبوّة ٤/١٦٣.

الثاني: تكثيرُ الطعامِ والماءِ حتى كفىٰ ألوفاً[1].

الثالث: تكليمُ الغزالةِ والبعيرِ وغيرِهما من البهائم والجمادات له ﷺ[2].

الرابع: الانقيادُ من الأشجارِ وغيرِها لطاعتهِ عياناً[3].

الخامس: النصرُ على الأعداء، مع كونهِ مع أصحابهِ جمعاً قليلاً، وعلى هذا أبداً منتصرين[4].

---

(١) تكثير الطعام والماء أوردهما البخاري كذلك، في المصدر نفسه، باب علامات النبوة ٤/ ١٦٩ ـ ١٧٢.

(٢) دخل النبيّ ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبيّ ﷺ حنَّ إليه وذرفت عيناه، فأتاه النبيّ ﷺ فمسح ذفريه (أصل أذنه) فسكن، فقال: «من رب هذا الجمل»؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي. فقال: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي مكنك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتُدئبه». تاريخ الإسلام، السيرة النبوية ص ٣٤٨، قال الذهبي: أخرجه مسلم... وباقيه على شرط مسلم.
وانظر حديث الظبية لرسول الله ﷺ في المصدر السابق ص ٣٥٠... وقال الذهبي بعد سرده: علي وأبو العلاء صدوقان، وعطية فيه ضعف. وقد روي نحوه عن زيد بن أرقم.
وعن علي بن أبي طالب قال: كنت مع النبيّ ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله. رواه الترمذي وقال: حديث غريب. سنن الترمذي، كتاب المناقب ٥/ ٥٩٣ رقم ٣٦٢٦.

(٣) عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بما أعرف أنك نبي؟ قال: «إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله»! فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبيّ ﷺ ثم قال: «ارجع». فعاد. فأسلم الأعرابي. رواه الترمذي، كتاب المناقب ٥/ ٥٩٤ رقم ٣٦٢٨ وقال: حديث حسن غريب صحيح. وانظر أخباراً وروايات أخرى في ذلك: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: السيرة النبوية للذهبي ص ٣٤١ فما بعد.

(٤) هكذا وردت العبارة. كما ورد في الأصل: جمع قليل. ويعني المؤلف غزوة بدر وغيرها.

السادس: روايةُ الأخبار عن المتقدمين كما كانتْ مفصلةً لا يشوبها ريب، ولا يروي الخبر المذكور إلا العِدا من أحبارهم وعلمائهم، أعني المكذِّبين له ﷺ وهم يعلمون أنه لا يعلم الخطَّ، ولا غاب عنهم زماناً يتعلَّمُ فيه ما يرويه لهم من العلوم الشتّ(١).

السابع: حنينُ الجذعِ إليه وكلامُه والقومُ تسمع(٢).

الثامن: نبعُ الماءِ من [بين] أصابعهِ والقومُ ينظرون إليه، ولا ماءَ عندهم إلا اليسير(٣).

التاسع: انشقاقُ القمر، حتى صارَ كلُّ شقٍّ على جبل(٤).

العاشر: عدمُ تمني اليهودِ الموتَ عجزاً عن تكذيبه، وذلك أن اليهودَ لما كذَّبوا النبيَّ ﷺ أنزلَ الله عليه أن يقول لهم: إنْ كنتم صادقين فيما تقولون أنني لست(٥) برسول؛ فتمنّوا الموت. وأخبرَ الله أنهم لن يتمنوه أبداً، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾(٦).

قال الزجاج: في هذه الآيةِ أعظمُ حجّةٍ وأظهرُ دلالةٍ على صحةِ

---

(١) في الأصل: الشتي. وأمر شتّ: متفرق. والمقصود من الأخبار قصص الأنبياء وحوادث أخرى من التاريخ، أوحى الله تعالىٰ بها إلى نبيّه ﷺ.

(٢) حديث حنين الجذع إليه ﷺ أورده البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام ٤/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤) وحديث انشقاق القمر رواه البخاري كذلك، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبيّ ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ٤/ ١٨٦.

(٥) في الأصل: ليس.

(٦) سورة البقرة، الآيتان ٩٤ ـ ٩٥. وتفاصيل ذلك في كتب التفسير.

رسالةِ النبيِّ ﷺ، وذلك لأنه أَعْلَمَهم أنهم لن يتمنَّوه، ولم يقدروا على ذلك، فكان كذلك، وكانوا على تكذيبه أحرصَ لو قدروا، ولكن الله تعالىٰ خذلهم عن ذلك ليُظهرَ صدقَ نبيِّه وكذبَ مُحاجِّه.

الحادي عشر: بيانُ الغيب، ذلك لأنه كان يقولُ لهم ما في قلوبهم، ويبين لهم أنسابهم من غير معرفة، مع علمهم بذلك، والغيبُ لا يعلمه إلا الله تعالىٰ[1]. ومن بيان الغيبِ غلبةُ الرومِ لفارسَ بعد أن غُلبوا، لمّا أخبرَ النبيّ ﷺ عن ذلك[2].

وغيرُ ذلك من الدلائلِ العظيمةِ التي لا تُحصر قطّ، ولا يتناهى أمدُها، ولا يَنْفَدُ مددُها، ﷺ[3].

ثم إذا قُرِّر هذا، فاعلمْ أن يجبُ على كلِّ أحدٍ تصديقُه، وأنه مرسلٌ إلى جميعِ الخلائق، لأنهم إن لم يُقِرُّوا برسالتِهِ فتكذيبُهم الدلائلَ المذكورةَ أولاً، وإن أقرُّوا أنه مرسلٌ إلى العربِ خاصَّةً فيجبُ عليهم في جميع ما يقولونه[4] لأنهم أقرُّوا بالرسالةِ من الله تعالىٰ، والكذبُ من الرسول في نقل هذا مُحال، والله أعلم.

---

(١) تنظر جملة من الغيبيات التي أخبر بها النبيّ ﷺ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ١٧٤ فما بعد.
وبالنسبة لمعرفته ﷺ أنسابهم، فقد روى أبو موسى الأشعري، قال: سئل النبيُّ ﷺ عن أشياء كرهها، فلما أُكثر عليه غضب، ثم قال للناس: «سلوني عما شئتم». قال رجل: من أبي؟ قال: «أبوك حذافة». فقام آخر فقال: من أبي يا رسول الله؟ فقال: «أبوك سالم مولى شيبة». فلما رأى عمر ما في وجهه قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عزّ وجلّ. رواه البخاري، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ١/ ٣٢.

(٢) كما جاء في الآيات الأولى من سورة الروم: ﴿الم * غُلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين...﴾.

(٣) لا أدري كيف قال المؤلف ذلك، وهو مبالغة من عنده رحمه الله.

(٤) في الأصل: يقولوه.

ولأنه ﷺ أشرفُ الأنبياءِ عند الله تعالىٰ، فلزمَ تصديقُه فيما يقوله.

ولأنه عَلِمَ عِلْمَ الأولينَ والآخِرين[1]، فكيف يُكَذَّبُ وهو بهذهِ المنزلةِ من الله تعالىٰ لغيرِ ضرورة[2]؟ فوجبَ تصديقُه، وكونُه مرسلاً إلى جميعِ الخلائق.

قوله: ﴿أَحَدٌ﴾:

أي واحدٌ لا شريك له، وذلك واجبٌ، وغيرُه مستحيل. ويدلُّ على أنه واحدٌ لا شريكَ له في جميعِ المخلوقات، كما قال الشاعر:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

وها هنا وجوه:

أحدها: أنه لو كان له شريكٌ لَلَزِمَ من اجتماعِهما عَجْزُ أحدهما، لأنهما إن استويا في القوَّةِ مثلاً، فكلُّ واحدٍ منهما عاجزٌ عن قَهْرِ صاحبِهِ، والإلهُ يجبُ أن يكونَ قاهراً لما سواه.

الوجه الثاني: الإلهُ يجبُ أن يكونَ فوق مَنْ سواه، فإذا اجتمعا لَزِمَ عَجْزُ أحدِهما عن الفوقية.

الوجه الثالث: قد يريدُ واحدٌ منهما شيئاً ويكرههُ الآخر، فحينئذ ثبتَ العجزُ.

الوجه الرابع: أخبرنا نبيُّنا ﷺ بأنه رسولُ الله، وأن الله واحدٌ لا شريكَ له، وجميعُ الرسل كذلك قالوا، فلو كان اثنين للزمَ أن يُرْسِلَ الآخَرُ رسولاً بنقيضِ ما قالَ الآخر، ويكونُ الرسولُ موصوفاً بصفةِ

---

(١) ليس لهذا الكلام دليل، إنما محمد ﷺ نبيُّ الله ورسوله، آتاه الله العلم بقدر، والذي يعلم علم الأولين والآخرين هو الله عزّ وجلّ.

(٢) لا أرى حاجة لقوله: «لغير ضرورة».

الرسالة، كالدلائلِ العظيمةِ التي لا يشوبُها ريب، كمسيلمة الكذَّاب، الذي ادّعىٰ أنه رسولٌ ولم يأتِ بدلالةٍ عمّا قاله.

الوجه الخامس: يجبُ أن يكونَ واحداً، وإلا لَزِمَ من اجتماعهما نقصُهما، واختلافُ إرادتِهما، وعدمُ زيادةِ أحدِهما على غيرِه فضلاً وشرفاً، لكونِ الآخرِ معادِلاً في ذلك، والإلهُ يجبُ أن تنفيٰ عنه جميع هذه النقيصات.

السادس: الموجوداتُ كلُّها دالَّةٌ على وحدانيّته، كما هي دالَّة على وجودهِ وقدرته، كما قال الشاعر:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنه واحدُ

فإن قلت: فما وجهُ الدلالةِ على أنَّ الموجوداتِ دالَّةٌ على وحدانيته؟

قلت: لأنَّ كلَّ موجودٍ مخلوق، فخالقهُ يجبُ أن يكونَ قديراً على إيجادِ عظيمِ الأشياءِ ودنيِّها، والمشارِكُ في هذه الصفاتِ ليسَ كذلك، فإنه عاجز، لوجودِ مثلِها [في] مثلهِ، لأنه حينئذٍ لا يكون فعّالاً لما أراد، لأنه قد يكونُ الآخَرُ مريداً لعكسِ ما أراده، فَيَلْزَمُ منه عدمُ وجودِ ذلك المراد.

السابع: بيَّنا صحةَ رسالةِ نبيِّنا ﷺ، فإذا ثبتتْ رسالتُه وجبَ تصديقُه، سيَّما والعقلُ مساعدٌ لما قاله ﷺ.

الثامن: أنا نقول: أنتم أقررتم بإلهٍ واحدٍ كما أقررنا، فبيِّنوا لنا ما زاد على الربِّ سبحانه وتعالىٰ؟

التاسع: لو قدَّرنا خفاءَ الحكمِ والعجزَ عن الاستدلال، فالأحديةُ أولىٰ، وتصرُّفُ العَدْلِ القادِرِ في القضايا أولىٰ من الاشتراكِ فيها.

العاشر: يجبُ أن يكونَ الإلهُ مُحْدِثاً ـ بكسر الدال ـ لما سواهُ،

فحينئذ لا يخلو: إما أن نقولَ: هما في القِدم [سواء]، أو أحدهما أقدم. والأول مُحال، لعدم اتِّصاف كلٍّ منهما بصفةِ إلٰهيةٍ حالةَ تساوي قِدَمِهما، وإن كان الثاني فمحَالٌ أيضاً، لأن السابقَ هو الإلهُ المُحْدِث للثاني.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾:

تقدَّمَ الكلامُ في تفسيرِ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وقد علمتَ اتفاقَ المفسِّرين لها على التنزيه في كلِّ قول، وفي اشتقاقها التنزيه أيضاً، فلا حاجةَ إلى الكلامِ على ذلك، ولأنه لو لم يكنْ صَمَداً لكان ناقصاً، والله تعالىٰ منزَّهٌ عن النقائص.

قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾:

اعلم أن الله لم يلد فيُشَابِهَ خَلْقَهُ وَتَنقُصَ ذاتُه، لأن الولدَ إن كان من الذاتِ فينقصها، ويَلْزَمُ من ذلك عدمُ الربوبية، وإن كان من غيرِ ذاتِهِ بل بقدرتِهِ فهذا ليس ولداً له، بل هو من جملةِ الخلائق، ولأنه قد قدرنا[1] أنه لا فاعلَ سوى الله، فإذا قلنا بالولدِ لزمَ أن يَخْلُقَ نفسَهُ، وذلك مُحال، ولم يولدْ فيكونَ مُحْدَثاً مخلوقاً، وجزاء، ومسبوقاً، وجاهلاً، ومتحيِّزاً منحصراً، وذلك كلُّه نقصٌ ومُحالٌ في حقِّ إلٰه العالم، فتحتَّمَ نفيُه عنه تعالىٰ.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾:

أي: ليس له أحدٌ من الخلائق مماثلاً ولا موازياً. وقد تقدَّم الكلامُ على هذا وما قبله.

ثم اعلم أن هذه الآيةَ قد حوتْ تنزيهاً عظيماً يليقُ بجلالِ الله وعظمته، فنتكلم على ذلك موفَّقين إن شاء الله تعالىٰ، فنقولُ وبالله الثقةُ والعصمة:

---

(١) هكذا في الأصل، وقد يكون المقصود «علمنا».

استدلَّ أهلُ السُّنةِ بهذه الآيةِ العظيمةِ لأمور:

أحدها: أنه تعالىٰ ليس له من يكافئه في ذاتهِ وصفاته.

الثاني: أنه تعالىٰ ليس له شبيهٌ ولا مثيل.

الثالث: أنه ليس بجسمٍ ولا عَرَض، وأن كلامَهُ ليس بحرفٍ ولا صوت.

ثم اعلم أن هذه الآية وشبهَها من القرآنِ العظيمِ قد اختلفَ الناسُ في المسلكِ فيه على **مذهبين**:

الأول: إجراؤها على ما هي عليه، مع الاعتقادِ لعظمةِ الإلٰه، من كونهِ قادراً، قاهراً، مدبِّراً، متكلِّماً. وهو مستوٍ على العرش، ويَنْزِلُ إلى السماءِ الدنيا، ويَضَعُ قدمَهُ في النار[1]، وخَلَق آدمَ بيده، ونفخَ فيه من روحه، يُبْصِرُ بعينهِ التي لا تنام، وهو مع العبدِ أين كان وحيثُ كان، سميع، وفوق كلِّ شيء، يُرىٰ في الآخرة. كلُّ ذلك كما أراد، وبالمعنى الذي أراد، من غيرِ تأويل.

وهذا المذهبُ أسلم.

المذهب الثاني: مذهبُ أهلِ التأويل. فأوَّلوا كلَّ آيةٍ وحملوها على محامل:

فحملوا قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[2]، وسائرَ الآياتِ والأحاديثِ في ذلك على الكلامِ النفسي الذي ليس حرفاً ولا صوتاً، وقالوا: يستحيلُ ذلك في حقِّه تعالىٰ، لأن كلامَ الله صفةٌ قائمةٌ به، فلو كان حرفاً أو صوتاً لكان يوصفُ به حالةَ التكلُّم، ثم ينقطعُ الاتّصافُ عن كونه متكلِّماً، وصفةُ الله يُوصَفُ بها

(١) يأتي تخريج ما ذكر في العبارتين السابقتين في ص ٧١ ـ ٧٢، ٧٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٤.

دائماً. فمحالٌ أن يكون كلامُه حرفاً أو صوتاً.

وأيضاً فالحروفُ والأصواتُ إنما هي للمخلوقات، فلو كانت في الله لشابَهَ خَلْقَه، وذلك مُحال؛ لقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

وأيضاً: الحروفُ والأصواتُ إنما تصدرُ عن الأجسام، وهو تعالىٰ ليس بجسمٍ كما يأتي بيانُه.

وأيضاً فإن الكلامَ يطلقُ على الكلامِ النفسي، كما يطلقُ على الحرفي والصوتي، فكان حملُه على النفسِ أولى، لِما تقدَّم، ولأن كلامَ النفسِ قبل كلامِ الحرفِ والصوت، لأنه أولُ ما يدورُ بالنفس، فينطقُ بعد ذلك. فالكلامُ النفسي متيقَّن لا محالة، لأن الكلامَ الحرفيَّ والصوتيَّ يَلْزَمُ من وجودِه وجودُ النفس، ولا يَلْزَمُ من وجودِ النفس وجودُ الحرفِ والصوت، فنأخذُ بالأصل المتيقّن - وهو الكلامُ النفسي - ونطرحُ الفرعَ المشكوكَ فيه، وهو الكلامُ الحرفيُّ والصوتي.

ثم اعلمْ أنه كما يُطلق على الحرفيِّ والصوتيِّ يُطلقُ على النفسيِّ. ألا ترىٰ أنه روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: كنتُ أجهِّزُ الجيشَ في الصلاة؟ فذلك التجهيزُ إما أن يكون بالكلامِ النفسيِّ فيندفعُ الإشكال، أو بالحرفِ والصوتِ فلا تصحّ، إذ ذلك يُبطلُ الصلاة، ولأنه دلَّ سكوتُه على[1] تفسيرِ الكلام، ومن أيِّ قسم هو، على أنه نفسي، لأن كلامَ النفسِ معلومٌ أنه لا يُبطلُ الصلاة، لوقوعهِ لكلِّ مصلٍّ، فسكتَ عنه لوضوحه. فلو كان غيرَه لبيَّنه: أَهَل هو سهوٌ أم عمدٌ؟ قليلٌ أم كثير؟

وأيضاً فالحروفُ والأصواتُ إنما هي دلائلُ على الكلام. قال الشاعر:

---

(١) في الأصل: عن.

إن الكلامَ لفي الفؤادِ وإنّما جُعِلَ اللسانُ على الفؤادِ دليلا

والعربُ أخبرُ بلغتهم التي نزلَ بها القرآن، فهو دالٌّ ـ أعني ما قاله ـ على أن الكلامَ هو المعنى القائمُ بالنفس، والحروفُ والأصواتُ دالَّةٌ عليه.

وأيضاً قال ﷺ في حقنا: «**ألا إنَّ في الجسدِ مُضغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب**»[١]. فجعلَ كلامَ النفسِ هو المعتبرَ، وجعلَ بصلاحِهِ ينصلحُ اللسانُ وغيرُه من الجوارح.

وأيضاً فكلامُ النفسِ يسمَّى حديثاً، لما روي أنه ﷺ قال: «**مَنْ صلَّى صلاةً لا يُحَدِّث بها، أو فيها، نفسَهُ، كان له كذا وكذا**»[٢]. فسمَّىٰ كلامَ النفسِ حديثاً.

فاللائقُ بجلالِهِ تعالىٰ على مذهب أهل التأويل: التأويلُ على الكلامِ النفسي، والله أعلم[٣].

وحملوا[٤] قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[٥] على الاستيلاء والاحتواءِ والاقتدار، لا على الجلوسِ والاستقرار، واستدلوا أنه تعالىٰ لو كان جالساً على العرشِ لكان منحصراً متحيِّزاً، وذلك

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/١٩.

(٢) يبدو أن المؤلف أورد الحديث بالمعنى، أو من ذاكرته... ولفظه: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلّى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه». صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ١/٤٨. ولفظه في مصنف ابن أبي شيبة ٢/٣٨٦: «من صلّى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه».

(٣) سبق أن ذكر المؤلف المذهب الأول، الأسلم، في ص ٦٨.

(٤) يعني أهل التأويل.

(٥) سورة طه، الآية ٥.

محالٌ، لأن الانحصارَ والتحيُّز يستلزمان الكبرَ على المتحيزِ والمنحصر، وذلك نقصٌ يخالفُ الكتابَ والسنةَ وصوابَ العقول. كيف يحصرُه زمانٌ وهو خالقهُ؟ أم كيف يحيطُ به مكانٌ أو جهةٌ وهو محيطٌ بالأمكنة والجهات؟ أم كيف يحملهُ العرشُ وهو حامله؟

وأيضاً فالاستواءُ يُطلق على الاستيلاء، وعلى الجلوس، فحملُه على الاستيلاءِ أولىٰ وأصوب؛ وذلك لأن الجلوسَ يستلزمُ الاستيلاء، والاستيلاءُ لا يستلزمُ الجلوس. فالاستيلاءُ محقَّق لا محالة، والجلوسُ مشكوكٌ فيه. فوجبَ الأخذُ بالأصلِ وطرحُ الشكّ.

وأيضاً فنقول: لا يخرجُ التقسيمُ عن أن يكونَ: جالساً على العرشِ وهو حامله، وهو جالسٌ والحاملُ له غيرُه.

والأول مُحال؛ لأنه يَلْزَمُ أن يكونَ مؤثّراً في نفسه.

والثاني باطل، لأن الغيرَ الحاملَ إما أن يكون فِعْلُ الحملِ منه بقدرةِ الله، فاللَّهُ الحاملُ، أو كان غيرُه مؤثّراً فيه، وذلك مُحال.

وإما أن يكونَ فعلُه من قبلِ نفسهِ فقط، وذلك مُحال، لأن ما سوى الله مخلوق، والمخلوقُ لا فعلَ له بنفسه، سيَّما هنا، والله أعلم[1].

وحملوا قولَهُ ﷺ: «**يَنزِلُ ربُّكم إلى سماءِ الدنيا**»[2] إلى آخره؛ على نزولِ رحمتهِ ورأفتهِ ولطفه، لا نزولِ ذاته. واستدلّوا لذلك بأنه قد

---

(١) حبذا لو اكتفى المؤلف بقول الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

(٢) قال عليه الصلاة والسلام: «ينزل ربُّنا تبارك وتعالىٰ كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيبَ له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟». رواه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٢/ ٤٧. والترمذي في سننه، كتاب الدعوات ٥/ ٥٢٦ رقم ٣٤٩٨.

يُضافُ الشيءُ إلى الذاتِ لفظاً والمعنيُّ إضافتُه إلى الصفة. ألا ترى أن الروحَ صفةٌ في الإنسان لأنها تُضاف إليه ولا يُضافُ إليها؟ تقول: روحُ زيد، ولا تقول: زيدُ الروح.

فإذا ثبتَ كونُها صفةً فهي قائمةٌ مقامَ الذات، فيقالُ في الرجلِ الجيدِ من المؤمنين حين يموت: إنه في الجنة، ومعلومٌ أن ذاتَهُ في الدنيا لم تذهبْ معه.

وكذا يُقال في الكافرِ إنه في جهنم، وذاتُه مشاهدةٌ عند القائل.

وكذلك[1] يقال: السلطانُ ضربَ فلاناً، وهو لم يباشرْ ضربَهُ، لكن لمّا صدر منه الأمرُ بالضربِ كان كالمباشرِ له.

فهنا كذلك، لمّا أمر الله تعالىٰ بنزولِ رحمتِهِ فنزلت، كان كما لو نزل. والله تعالىٰ مُنَزَّه عن النزولِ المثقلِ[2] للذات، المغيِّرِ لها[3].

---

(١) في الأصل: وذلك.

(٢) في الأصل: التقل!

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ: اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبِّهة، تعالىٰ الله عن قولهم. ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة، وهم الخوارج والمعتزلة، وهو مكابرة. والعجب أنهم أوّلوا ما في القرآن من نحو ذلك، وأنكروا ما في الحديث، إما جهلاً وإما عناداً، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال، منزِّهاً الله تعالىٰ عن الكيفية والتشبيه، وهم جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمّة الأربعة والسفيانين والحمّادين والأوزاعي والليث وغيرهم.
ومنهم من أوّله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب. ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف. ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريباً مستعملاً في كلام العرب وبين ما يكون بعيداً مهجوراً، فأوَّل في بعض وفوَّض في بعض. وهو منقول عن مالك، وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد.
قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف، والسكوت عن المراد، إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيُصار إليه. ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب، فحينئذ التفويض أسلم. فتح الباري ٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

وأيضاً لو لم نؤوِّل الظواهرَ لأدَّى عدمُ التأويلِ إلى أشياءَ لا يسوِّغها العقل. ألا ترىٰ أن في الحديثِ الصحيحِ الذي رواهُ البخاريُّ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنّه قال:

«إن الله تباركَ وتعالىٰ قال: مَن عادىٰ لي وليّاً فقد آذَنْتُهُ بالحرب. وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه. وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبصرُ به، ويَدَهُ الي يَبْطِشُ بها، ورجلَهُ التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذَنَّه»[1].

ومعلومٌ بالبديهةِ أن الله سبحانه ليس من ذاتهِ أسماعٌ[2] للمحبينَ له، وليستْ بصراً لهم، وليستْ يداً لهم، وليستُ أرجلاً لهم، لا يختلفُ العقلُ في ذلك.

وأجمع[3] المسلمون والكفارُ[4] على تنزيهِ الربِّ عن ذلك، وذلك أنه تعالىٰ لمّا أرشد محبَّهُ في سمعهِ وبصرهِ وبطشِ يدهِ ورجله، عبَّر بما عبَّر به سبحانه وتعالىٰ.

وهذا الحديثُ مصرِّحٌ بأن الله تعالىٰ المقدِّرُ للأفعال والأقوال، وإن كان فاعلاً لها على سبيلِ الحقيقة؛ وذلك أن الله تعالىٰ قادرٌ على جميعِ الممكنات.

فإذا فعلَ العبدُ فعلاً فذلك الفعلُ حادث، وكلُّ حادثٍ إنما هو بخلقِ الله، وليس العبدُ أهلاً للخلق، فحينئذٍ إذا فعلَ العبدُ معصيةً

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ٧/ ١٩٠.

(٢) في الأصل: أسماعاً.

(٣) في الأصل: وأجمعت.

(٤) كان الأولى أن يقول «المشركون». ويعني أمثال كفار قريش، الذين كانوا يؤمنون بالله ولا ينزهونه...

فإمّا أن يكونَ بتقديرِ الله تعالىٰ على العبد فيندفعُ الإشكال، وإما أنْ يكونَ بفعلِ العبدِ من غيرِ تقديرِ فمحال، إذ لا يخلو: إما أن يكونَ سبحانه كارهاً لحدوثِ هذا الفعلِ أم لا.

فإن كان الأولع فمحال، لأنه يستحيلُ أن يَحْدُثَ شيء يكرهُ الله حدوثَهُ.

وإن كان الثاني فلا يخلو: إما أن يريدَ حدوثَهُ على سبيلِ التقدير، فالفاعلُ إذاً هو الله تعالىٰ، وإن كان لا يريدُ حدوثَهُ ولا عَدَمَهُ فهو غيرُ خالقٍ له، والعبدُ لا يَقْدِرُ على الخلقِ لكونهِ عاجزاً، فَيَلْزَمُ من ذلك عدمُ العقابِ على المعصيةِ، لأنه لم يوجدْ نهيٌ عن هذا، ومحالٌ أن ينهىٰ عن شيءٍ لا يمكن، لأنه يكونُ النهيُ عنه عبثاً، والعبثُ منفيٌّ عنه تعالىٰ.

وأيضاً فكلُّ ممكنٍ فهو سبحانه قادرٌ عليه. فلو قدَّرنا أن العبدَ يستقلُّ بالفعل، فحَمْلُ الفعلِ على فعلِ الله أولىٰ، لأن قدرتَهُ لا شكَّ ولا اختلافَ أنها أقوىٰ من قدرةِ العبد.

فإن قلت: لو كان الله هو المؤثِّرُ لما عذَّبَ العاصي على فعله، لكونهِ فاعلاً له، فمن فعلَ فعلاً وعذَّبَ غيرَه على ذلك فهو ظلمٌ بيِّن، والظلمُ على عبادِ الله عناد؟

والجواب: قوله [تعالىٰ]: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]. وفعلُ العبدُ شيء، فالله تعالىٰ خالقُه. وقولُه [عليه الصّلاة والسّلام] في حديثِ أبي هريرة المتقدم ما مرَّ ذكره[3].

(١) سورة الأنفال، الآية ١٧.
(٢) سورة الرعد، الآية ١٦.
(٣) في الصفحة السابقة.

والدلائلُ النقلية من الكتابِ والسنَّة في ذلك لا تُحصر، والعقلُ مصرِّح بذلك.

وأما أنه سبحانه ليس بظالم فلا شكَّ في ذلك، وليس كلُّ ظلمٍ في حقنا ظلماً في حقِّه تعالَىٰ، لأنه متصرِّفٌ في ملكهِ كيف يشاء، لا يشاركهُ أحدٌ في ذلك، لأنه إذا قتلَ رجلٌ رجلاً ظلماً، فإن كان بتقديرهِ تعالىٰ، بانَ أنه ليس بظالم، لأنه نفىٰ الظلم عن نفسه، وإن كان بفعلِ العبدِ فلا شكَّ أن الله تعالىٰ قادرٌ على منعهِ من قتله، وإلا لزمَ أن يكونَ عاجزاً.

وإذا كان كذلك فتركُ[1] منعه مِنْ قتلهِ كالإعانةِ على القتلِ في هذا المعنى وأشباهه، كذلك فإنه إذا قتله: إن كان بإعانتنا فظالمون عليه، أو بتركنا التخليصَ فكالإعانة في هذا المعنى، ففي الحقيقةِ ظلم، وقد بيّنا نفيَهُ عن الله تعالىٰ مع التقديرِ منه تعالىٰ، أو مع القدرةِ على التركِ لو فُرض استقلالُ العبدِ بنفسه.

وأيضاً فقد أمر الله بالدعاءِ رجاءَ الإجابة[2]، وإذا كان المدعوُّ به يستقلُّ به العبد فلا فائدةَ في الدعاء.

فسبحان الذي تاهتِ العقولُ في إدراكِ ما لا يعلمه إلا هو، وحارتِ الأفكارُ في حِكَمِهِ الخفيةِ التي لا يُدركها إلا هو، سبحانه وتعالىٰ.

ثم اعلم أن هذهِ المسألةَ إنما ذكرناها استطراداً للحديث، وإنما كلامُنا هنا في النزول، فنقول: نزولُ رحمتهِ ولطفهِ ورأفتهِ محقَّقةٌ على التأويلين، فنأخذُ باليقينِ ونطرحُ الشكَّ.

---

(١) في الأصل: فنزل!

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ سورة غافر، الآية ٦٠.

وأيضاً فنزولُ الذاتِ يلزمُ منه كونُه متحيِّزاً متغيِّراً بالانتقالِ جسماً مركباً، وهو منزَّهٌ عنه تعالىٰ. والنزولُ الذاتيُّ يُشابِهُ نزولَ الخَلْقِ من حيثُ أن النازلَ ينحطُّ عن رتبةِ العلوِّ شيئاً فشيئاً، والله تعالىٰ منزَّهٌ عن مشابهةِ الخلائق.

وأيضاً فيه مماثَلةٌ لهم، وهو تعالىٰ ليس له مِثْلٌ، فيلزمُ من النزولِ الذاتيِّ كونُه متناهياً، وهو مُحال، وإلا لكان اختصاصُه بذلك المقدارِ المتناهي من كلِّ الجوانبِ دون الزائدِ والناقصِ محتاجاً إلى المخصِّص، وذلك يوجبُ الحدوث، وهو مُحال، لأن القِدَمَ واجب، وإلا لما كان هو ولا غيرُه، والله سبحانه أعلم.

وحملوا قوله ﷺ إخباراً من الجبارِ أنه يضعُ قَدَمَهُ في النارِ يوم القيامةِ[1] على قهرِهِ وسطوتِهِ، وإلا وجبَ القولُ بالحيِّزِ والانحصار، ويلزمُ منه التركيبُ والاقترابُ والحدوثُ والحركة، وذلك مُحال.

ثم لو قدَّرنا قَدَماً جسماً، فوضْعُه في النار يستلزمُ القهرَ والسطوة، والقهرُ والسطوةُ لا يستلزمان وضعَ القَدم، فوجبَ إثباتُ المتيقَّن، وهو القهرُ والسطوة، وطرحُ الشكِّ، وهو القَدمُ الجسماني.

وأيضاً فارتعابُ النارِ بوضعِ القدرةِ والقهرِ والسطوةِ أبلغُ في العظمِ من المباشرةِ بالذات، فالحملُ على وضعِ القهرِ والسطوةِ أولى.

وأيضاً فإن قلتَ القَدَمُ جسم، فلا يخلو: إمّا أن نقول: هو منحصر، فقد بيَّنا نفيَ الانحصار. وإن قلتَ ليس منحصراً فلا يستقيمُ قولك، لأن النارَ منحصرة، ومن الضرورة أن كلَّ ما كان منحصراً

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «لا يزال يُلقىٰ فيها [أي في جهنم] وتقول هل من مزيد، حتى يضع فيها ربُّ العالمين قَدَمَهُ، فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد قد بعزتك وكرمك». صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: وهو العزيز الحكيم ٨/ ١٦٧.

ووُضعَ فيه الشيء، لزمَ أن يكونَ منحصراً في منحصر، وذلك محالٌ على الله تعالىٰ، إذ لا يحصرهُ مكانٌ ولا زمان.

وأيضاً فمن لازم وجودِ القَدَم الجسماني وجودُ التركيب، لأن من وُصِفَ به لزمَ وجودُ غير القَدم، فلزمَ أن يكونَ متركباً من قدمٍ وغيرِه، ويلزمُ من وجودِ التركيبِ وجودُ الحدوث، إذ التركيبُ حادثٌ، ويلزمُ منه وجودُ مركِّب، فإن كان الفاعلُ للتركيب هو الله فمحالٌ أن يكون مُحْدِثاً لنفسه، لأن ذلك تأثيرٌ في الوجودِ من غيرِ مؤثِّر، وذلك مُحال. وإن كان فاعلُ التركيبِ غيرَه فمحال أيضاً، لأنك تقول: الإلهُ غير الله، وهو الفاعل، وذلك شرك، ومحال. فلزم القولُ بأن الوضعَ للقدمِ الوضعُ للقهرِ والسطوة. والله أعلم[(١)].

وحملوا اليدَ على نفوذِ التصرُّف، والقدرةِ على الإيجادِ والإعدام، والنفعِ والإيلام، والبسطِ والقبض،والقدرةِ والقهر.

فقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾[(٢)]، فإن عنىٰ اليهودُ يداً جسمانية فقد أجابهمُ الله باللعن، وإن عَنَوا بذلك القدرةَ والقهرَ ومنعوا اليدَ الجسمانية فاللعنُ إذاً بسببِ دعواهم عدمَ الإنفاق، فلا دليلَ لكم إذاً.

ثم بيّن سبحانه أن يَدَهُ ليستْ جسماً، بقوله: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾، فعلمنا بذلك ما نبّهنا عليه سبحانه تعالىٰ.

وأيضاً فكما تُطْلَقُ اليدُ على اليدِ الجسمانيةِ تُطْلَقُ على القهرِ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: واختلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة، وهو أن تمرَّ كما جاءت ولا يتعرَّض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله. وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك... وساق أقوالاً وأمثلة غير ما ذكره المؤلف هنا... ينظر فتح الباري ٩/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٤.

ونفوذِ التصرُّف، تقول: هذه الدارُ بيدي، وتحت قهري وتصرُّفي.

وأيضاً: فالقولُ باليدِ يلزمُ منه ما بيَّناه في القَدم.

وأيضاً فاليدُ القهريَّةُ حاصلةٌ له تعالىٰ وفاقاً، فإذا وردتْ في قوله تعالىٰ وجبَ حملُ الواردِ عليها لأنها متعيِّنة، والجسمانيةُ مشكوكٌ فيها، فوجبَ الأخذُ باليقينِ وطرحِ الشكِّ. ودلائلُ ذلك لا تُحصر.

وحملوا قوله تعالىٰ عن آدم عليه السلام: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[1]، إما على الأرواحِ المخلوقة، فخلقَ خلقاً ونفخَ فيه من روحٍ خلقَها.

وإما على روحِ القُدس الذي بعثَ الله بها الأنبياء، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[2].

وأيضاً فالروحُ الحالَّةُ في الجسدِ فانية، تَنْعَم، وتَبْأس، وتتغير.

وهي حادثةٌ أحدثها الله تعالىٰ بقدرته، كما قامتْ عليه الدلائلُ العقليةُ والنقلية. وهذه صفاتٌ تستحيل على الله تعالىٰ.

وأيضاً فالروحُ تستلزمُ محلاً، وذلك المحلُّ يلزمُ منه أن يكونَ مفتقراً في علمهِ وقدرتهِ إلى الروح، ويلزمُ من ذلك التركيبُ من الروحِ والمحل، والتركيبُ على الله محال.

فإن قلت: هو روحٌ ليس لها محل، فقد جعلتَ للباري صفة[3]، وذلك محال.

---

(١) سورة السجدة، الآية ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٨٧، ٢٥٣. والمقصود به جبريل عليه السّلام. راجع أدلة ذلك في تفسير ابن كثير عند تفسير الآية الأولى.

(٣) أي جعلت لله صفة لم يصف بها نفسه، وهي الروح.

وأيضاً يتسلسلُ ما قلتم إلى ما بيَّنا بطلانَهُ قبلُ عند الكلام على القَدمِ واليد. والله أعلم.

وحملوا العينَ على الرؤيةِ العلميةِ لا على المُقْلةِ الجسمانية، لأن المقلةَ تستلزمُ ما قدَّمناه في الكلامِ على القَدَم.

وأيضاً فالاتفاقُ حاصلٌ على أن الله تعالىٰ يُرىٰ رؤيةً علمية. وأما افتقادُ ذلك فمحال، لوجودِ النقصِ إذاً لوجودِ التركيب، والتركيبُ يلزمُ منه الحدوث، والحدوثُ انعدم. وذلك محال[1].

وأيضاً فنطرحُ الشكَّ ونأخذُ بالمتيقَّن. والله أعلم.

وحملوا قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾[2]، على أنه سبحانه يعلمهم أينما كانوا وحيثُ كانوا، ويَسمعهم، ويُبصرهم. وأنتَ إذا كنتَ تعلمُ من حالِ شخصٍ هذه العلومَ كنتَ كأنك معهُ وإن كنتَ بعيداً منه، لأن فائدةَ المعيَّةِ حصولُ ذلك، فإذا وُجدتْ منك هذه الفائدةُ كنتَ معهم، وإنْ كانت ذاتُكَ ليستْ معهم.

ولو قيل بأنه تعالىٰ ذاتُه في كلِّ مكان، لزمَ أن يكونَ في أجوافِ الحيواناتِ ونحو ذلك، ولزمَ القولُ بالتحيُّزِ والانحصارِ والنقص المنفيِّ عنه تعالىٰ. ويستدلُّ بحديثِ أبي هريرة المتقدِّم عن النبيِّ ﷺ[3].

وحملوا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾[4] وغيرَ ذلك من الآياتِ

---

(١) وقد تبدو بعض العبارات غير واضحة للمحقق أو القارىء، وإنما أثبتها كما وردت، ولا رغبة لي في شرحها، وليكتفِ القارىء بما يستوعبه ويفيده... وقد خرج المؤلف عن المقصود في تفسير السورة الكريمة، ورأي المؤلف هو رأي السلف، الذي يأتي في آخر هذا الفرع (ص ٨٥ ـ ٨٦)، وإنما يورد هنا الأقوال وأدلّتها.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٧.

(٣) يعني حديث: «... ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه...» ص٧٣.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨١.

الدالَّة: على السمعِ العلمي، كما قلنا في البصَري، لا كونه تعالىٰ متّصفاً بأُذنٍ جسمانيَة، وإلا لزمَ القولُ بإثباتِ ما نفيناه عنه في الكلامِ على العينِ وغيرِها من النقائص.

وحملوا رؤيته: على ما قدَّمناه على العين.

فإن قلتم: حاصلُ ما قلتموه في السمعِ والبصر والرؤيةِ كونُه عالماً، فقد نفيتم السمعَ والبصرَ والرؤية، ولم تثبتوا إلا العلم، فما الجواب؟

فنقول: نعلمُ أن الله سميعٌ بصيرٌ راءٍ[1]، لكنٍ ليس بهذهِ الواسطةِ المفتقرِ وجودُها إلى حصولِ العلم، وهي العينُ والأُذنُ الجسمانيتان.

وحملوا فوقيَّةَ الله على جميعِ الأشياء: على كونهِ تعالىٰ متّصفاً بالعلوِّ والرِّفعة مكانةً لا مكاناً. فلا يجوزُ أن يقال: الله تعالىٰ في السماءِ ذاته، لأنك تحصرهُ بالجهة، والإلٰهُ تعالىٰ ليس منحصراً ولا متحيِّزاً.

وأما الإشارةُ إلى السماءِ في الدعاءِ وغيره، فإشارة إلى علوِّه ورفعتِهِ وقهرِهِ وقدرته[2].

---

(١) في الأصل: راءي.

(٢) في خبر جارية معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه، عندما قال لها رسول الله ﷺ: «أين الله»؟ قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ٢/ ٧٠ ـ ٧١. قال الإمام النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات. وفيها مذهبان. . . أحدهما الإيمان به من غير خوض في معناه، مع اعتقاد أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء، وتنزيهه عن سمات المخلوقات. والثاني تأويله بما يليق به. فمن قال بهذا قال: كان المراد امتحانها هل هي موحِّدة تقرُّ بأن الخالق المدبِّر الفعّال هو الله وحده، وهو الذي إذا دعاه الداعي استقبل السماء، كما إذا صلّى المصلّي استقبل الكعبة، وليس ذلك لأنه منحصر في السماء، كما أنه ليس منحصراً في جهة الكعبة، بل ذلك لأنَّ السماء قبلة الداعين، كما أن الكعبة قبلة المصلّين. . . ثم ساق كلاماً للقاضي عياض رحمه الله. صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٢٤.

وأمّا قوله ﷺ: «لو أنَّ أحدَكُمْ أَدْلَىٰ دَلْوَهُ لَسَقَطَ عَلَى اللهِ»[1]، فإشارةٌ إلى أنه تعالىٰ في كلِّ مكان. ثم فوقيتُه تعالىٰ لا تزيدهُ بعداً عن عباده.

وحملوا ظواهرَ الآيات الدالَّةِ على عدمِ الرؤيةِ على محامل:

فقوله تعالىٰ لموسى عليه السلام حين سأله الرؤية: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[2]. ولن للتأبيد: إما للتأبيدِ من جهةِ الدنيا، وإمّا لرؤيةٍ خطرتْ بباله ولم يكنْ تمكنُ[3] في حقِّه تعالىٰ؛ ويبعدُ هذا الظنّ به، لأن موسى صلواتُ الله عليه يبعدُ أن يظنَّ في الله شيئاً ليس فيه؛ لكونه نبيّاً، لكن قد يكونُ الظنّ من قومه، فأراد أن يبيِّنَ لهم أن هذا الظنَّ ليس فيه، فيُحْمَلُ نفيُ الرؤيةِ على الرؤيةِ المظنونة.

---

(١) قال الإمام ابن تيمية: حديث الإدلاء الذي روي من حديث أبي هريرة وأبي ذرّ رضي الله عنهما، قد رواه الترمذي وغيره، من حديث الحسن البصري عن أبي هريرة، وهو منقطع، فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، ولكن يقوّيه حديث أبي ذر المرفوع؛ فإن كان ثابتاً فمعناه موافق لهذا، فإن قوله: «لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله» إنما هو تقدير مفروض، أي: لو وقع الإدلاء لوقع عليه، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد على الله شيئاً، لأنه عالٍ بالذات، وإذا أهبط شيء إلى جهة الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى، لكن بتقدير فرض الإدلاء يكون ما ذكر من الجزاء...
فإنه قال: «لو أدلى لهبط» أي: لو فرض أن هناك إدلاء لفرض أن هناك هبوطاً. وهو يكون إدلاء وهبوطاً إذا قدر أن السماوات تحت الأرض. وهذا التقدير منتفٍ، ولكن فائدته بيان الإحاطة والعلوّ من كل جانب، وهذا المفروض ممتنع في حقنا لا نقدر عليه، فلا يتصوَّر أن يدلي، ولا يتصور أن يهبط على الله شيء، لكن الله قادر على أن يخرق من هنا إلى هناك بحبل. ولٰكن لا يكون في حقه إدلاء، فلا يكون في حقه هبوطاً عليه... مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦/ ٥٧١ ـ ٥٧٤. وانظر أيضاً ٢٥/١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٣، من قوله تعالىٰ: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه قال ربِّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني...﴾.

(٣) أي الرؤية.

وأيضاً فقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لن تحصرني رؤيتُك.

ثم استدلوا بهذا على أن الله سبحانه وتعالىٰ يُرَىٰ في الآخرة، قالوا: لأن الله تعالىٰ إذا سُئل لا يجيبُ إلا بأحسنِ الأجوبةِ وأصوبِها، فلو كانتْ رؤيتهُ مستحيلةً لقال: لن أُرىٰ، أو: رؤيتي تستحيل، لا يمكن [أن] تراني، لأن هذا هو الجوابُ المُطابق للسؤالِ النافي للظنِّ، المخالفِ للحقيقة، وذلك لأن من كان في كمِّه حَجَر، فظنَّ شخصٌ أن ما معه شيءٌ للأكل، فهذا ظنٌّ مخالفٌ للحقيقة، فإذا سألَ الظانُّ فقال: أطعمني مما معك؟ فقال: لا أطعمكَ منه شيئاً، فهذا جوابٌ ليس صواباً في الحقيقة، لأنه مؤكِّد لذلك الظنِّ الفاسد. فالجواب المطابقُ لهذا الطلب: ليس معي شيءٌ للأكل، أو: الذي تظنُّه لا يؤكل، أو غيرُ مأكول، أو شِبْهُ هذا.

فعلمنا أن قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ مثبتٌ لإمكانِ الرؤية[١] لأنه موَلِّدٌ لظنِّ موسى عليه السّلام.

وأيضاً فإن الله تعالىٰ علَّقَ حصولَ الرؤيةِ على استقرارِ الجبلِ. قال الإمامُ فخر الدين الرازي رحمه الله: واستقرارُ الجبلِ ممكن، وما عُلِّق على الممكنِ ممكن[٢].

وأيضاً في الحديثِ الصحيح، أن رسولَ الله ﷺ قال حين رأى القمرَ ليلةَ البدر: «**إنَّكم سترونَ ربَّكم عياناً كما تَرَوْنَ هذا القمر، لا تُضَارُونَ في رؤيته**». حديث صحيح متفق عليه، رواه جرير رضي الله عنه[٣].

---

(١) يعني في الآخرة.

(٢) التفسير الكبير ١٤/ ٢٣٢.

(٣) الحديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه رفعه، وما أورده هنا أقرب إلى لفظ الترمذي، قال ﷺ: «أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر وتضامون في رؤية الشمس؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم سترون ربَّكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا =

قال الإمام: قولُه ﷺ: «كما تَرَوْن هذا القمر» يمتنعُ أن يكونَ الربُّ نوراً، وإنما قال ذلك لكونِ الرؤيةِ محقَّقَةً للربِّ فيها كما أنه لا ريبَ في رؤيةِ هذا القمر. ولذلك بيَّن النبيُّ ﷺ فقال: «لا تضامُّون في رؤيته»[1].

ودلائل ذلك لا تُحصر.

وأيضاً فالرؤيةُ ليستْ نقصاً في حقِّه تعالىٰ، لأنّا نقول: إنه تعالىٰ يُرىٰ من غيرِ مثال، والله أعلم.

وحملوا الآياتِ والأخبارَ التي[2] ظواهرها تدلُّ وتُوهِمُ الجسميةَ ـ كما قدَّمنا بيانه ـ وأجابوا عنها أجوبةً كليَّةً، فقالوا: الربُّ سبحانه وتعالىٰ ليس بجسمٍ لوجوه:

أحدها: الأجسامُ حادثة، وما كان قديماً يمتنعُ أن يكونَ حادثاً، أو يوصفُ بصفةٍ توجبُ الحدوث.

الثاني: الأجسامُ جاهلة، وعلمها مخلوقٌ مُحْدَث، وما كان علمُه لذاتِهِ امتنعَ أن يكونَ موصوفاً بصفةٍ توجبُ كونَهُ عالماً علماً حدوثياً.

الثالث: الأجسامُ متناهية، والربُّ سبحانه يجبُ أن يكون غيرَ

= تضامُّون في رؤيته». رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب. كتاب صفة الجنة، باب منه ٤/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩ رقم ٢٥٥٤. وعند الشيخين ـ بألفاظ متقاربة، واللفظ للبخاري ـ: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب»؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك». صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود ١/ ١٩٥، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ١/ ١١٢.

(١) تضامون: من الضيم، بمعنى أنكم ترون بسهولة. و «تضارون» أي: هل يلحقكم في رؤيته ضير؟

(٢) في الأصل: الذي.

متناهٍ، وما كان غير متناه امتنعَ أن يكونَ متصفاً بصفةٍ توجبُ كونَهُ متناهياً.

الرابع: الأجسامُ فانية، والربُّ سبحانه وتعالىٰ ليس بفان، وما ثبتَ قدمُه امتنعَ عدمُه، فوجب أن لا يوصفَ بصفةٍ توجبُ العدم.

الخامس: الأجسامُ مركَّبة، وما كان مركباً وجبَ كونُه مُحْدَثاً، وما كان محدثاً استحالَ كونُه إلهاً.

السادس: الأجسامُ مفعولة، وما كان فاعلاً على الدوام امتنعَ كونُه مفعولاً في زمنٍ من الأزمان، أو يومٍ من الأيام.

السابع: الأجسامُ متغيِّرةٌ عياناً، والقاهرُ والقادرُ ممتنعٌ أن يكون متغيِّراً.

الثامن: الأجسامُ متحيِّزةٌ ومنحصرة، والربُّ تعالىٰ يجبُ أن يكونَ غيرَ منحصرٍ ولا متحيِّز، لما بيَّنا بطلانه.

التاسع: الأجسامُ متماثلة، والربُّ ليس له مِثْل.

العاشر: هي سُفلية، والربُّ يجبُ أن يكونَ عُلوياً.

الحادي عشر: لما كانت الأجسامُ موصوفةً بصفاتٍ توجبُ النقص، وجبَ نفيُها عنه تعالىٰ، إذ هو الكاملُ في ذاتِهِ وصفاته.

فإن قيل: جسمٌ ليس كالأجسام؛ فممتنع، لأن الأجسامَ ثبتَ تماثلُها من حيث هي جسم، ومن غيره.

فإن قيل: يجبُ إذاً أن ينفىٰ وجودُه، لكونِ الأجسام موجودة، فهو والأجسام مثلاً من حيثُ الجسمية[1]، فإن قلتم يمتنعُ على هذا كونُه موجوداً لئلا يتماثل هو والأجسامُ في صفةِ الوجود، فنقول:

---

(١) هكذا وردت العبارة.

الوجودُ صفةٌ من الصفات، ولا يمتنعُ أن يوصفَ غيرُ الله بصفةٍ هي بالله، وإن كانت في حقِّ العبدِ مع الله مجازاً، كما تقول: زيدٌ عالمٌ، والله تعالىٰ عالم. وأما الذاتُ فلا يمكنُ مماثلةٌ فيها قط.

وأيضاً فإن وجودَ الفاني كفنائه. ألا ترى أنه يُقال: الدنيا فانيةٌ وإن كانت الآن موجودة؟ وإنما يُقال ذلك لتحقُّقِ فنائها، وأين الفاني من الموجودِ أبداً سبحانه وتعالىٰ؟

وأيضاً فإنه وقعَ الخلافُ في أنه تعالىٰ هل هو جسمٌ أو لا وتعارضتِ الظواهرُ والبواطن؛ وجبَ القولُ بأنه واجبُ الوجودُ لذاته، وتفويضُ علمِ ذلك إلى الله تعالىٰ.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[1]، قيل: الحياةُ هي علمهُ تعالىٰ.

وقيل: صفةٌ تستلزمُ العلمَ وغيرَه. والله أعلم.

هذا مذهبُ أهلِ التأويل.

وأمّا مذهبُ أهلِ السلامةِ فقد مرَّ ذكرُه، وهو الذي نتَّبعُه ونعتقده، إذ كان هذا مذهبَ الصحابةِ والتابعين، فثارتِ البدعُ وقامتِ الشُّبَهُ، فأوَّلَ المؤوِّلون ما مرَّ ذكرُ طرفٍ منه.

فنعتقدُ أن الله تعالىٰ سميعٌ بصير، له العينُ التي لا تنام، واليدانِ المبسوطتان، والقَدمُ يضعهُ في النارِ يومَ القيامة، وهو مستوٍ على العرش، وينزلُ إلى سماءِ الدنيا؛ كلُّ ذلك كما أراد، وبالمعنى الذي أراد، من غيرِ تأويلٍ مُراد، فإنه تعالىٰ العالمُ بإرادته.

وقد كانت الصحابة والتابعونَ لا يتباحثون في ذلك، ولو دُمْنا على هذا الاعتقاد لما كُلِّفنا التأويل.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

والآن قد كفانا الله هذا، وقد رُدَّت الشُّبَهُ بغيرنا، فنحمدُ الله ونشكرُه، ونستعينُه ونستغفرُه، ونؤمنُ به ونتوكّلُ عليه سبحانه، هو الحيُّ القيوم، العليُّ العالي، والوليُّ الوالي، والقويُّ المتعالي، الموصوفُ بالصفاتِ العُلا، والمقامِ الأعلى، والقهرِ والقوَّة، والجبروتِ والملكوتِ والسَّطْوة.

فسبحان من لا تُدركهُ العقولُ والأفهام، ولا تَمْثُلُه البصائرُ والأوهام، ولا تأخذهُ سِنَةٌ ولا نوم، ولا يحصرُه عامٌ ولا يوم، ولا تحيطُ به الجهاتُ والأمكنة، ولا تحويهِ الأزمنةُ والساعات.

فسبحانه في كلِّ الصفات، والحمدُ لله على جميعِ الحالات.

الفصل السادس

في إعرابها

قولُه تعالىٰ: ﴿بِسْمِ﴾:

الباءُ تسمَّى باءَ التضمين، وباءَ الإلصاق. وهي من العواملِ الجارَّةِ لِما بعدها، ولا يليها إلا أسماء، مُضمرات كانت أو مُظهرات، لأن الجرَّ يختصُّ بالأسماء، كما أن الجزمَ يختصُّ بالأفعال.

وقد يجيءُ بمعنى «مِن» بكسرِ الميم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾[1]، أي: منها.

وقد تجيء بمعنى «عن»؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2].

وقد يُعَدَّىٰ بها الفعلُ اللازم؛ كقولك: جئتُ به، وأقمتُ به.

وقد تُزادُ في الكلمةِ والمعنىٰ على طرحِها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ﴾[3]، يعني إلحاداً بظلم[4].

---

(١) سورة الإنسان، الآية ٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٥٩.

(٣) سورة الحج، الآية ٢٥.

(٤) يعني المؤلف أن الباء هنا زائدة. وردَّ ابن كثير على هذا بقوله: الأجود أنه ضمَّن الفعل هاهنا معنى يهمّ، ولهذا عداه بالباء، فقال: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ أي يهمُّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار. تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٤.

وقد يجيءُ بمعنى «مع»، كقوله تعالىٰ: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾[1]، أي: مع الدُّهن.

والـ «اسم» أَحَدُ[2] الأسماء، وهو مشتقٌ في أحدِ الوجهين من السُّمُوّ، وهو العُلوّ. يقال: سما فلانٌ يَسْمُو سُمُوّاً إذا علا، فكأنَّ المسمَّىٰ ارتفعَ بدرجةِ وجودهِ على درجةِ عدمهِ فسما؛ فحصلَ لهِ اسم.

وفي الوجه الآخر: مشتقٌ من السِّمَة، وهي العَلامة، فكأنَّ المسمَّى وُسِمَ بها علامةً له.

والكلامُ على باقي البسملة تقدَّم.

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾:

كان في الأصل «اقْوُل»، على وزن «افْعُل»، فثقلتِ الحركةُ على الواو، فنُقلتْ إلى القاف، وحُذفتِ الألف، لزوالِ علَّتِها الجالبةِ لها، وهي سكونُ الحرفِ المبتدأ به، فبقيت «قُوْلْ»، فاجتمعَ ساكنان: الواوُ واللام، فسقطتِ الواوُ لأنها من حروفِ العلَّةِ، فصارت «قُلْ».

وهو مبنيٌّ على ماضيه. قال: فإنه كان الأصل «قَوَل»، فانقلبتِ الواوُ ألفاً لانفتاحِ ما قبلها.

فائدة:

أوردَ بعضُهم سؤالاً وجوابَه، وهو: إنْ قيل: ما معنىٰ ذكرُ كلماتِ الأوامرِ في التلاوةِ والكتابة، مثلُ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ وأشباهِ ذلك؟ وهل هو إلا لغوٌ لا فائدة فيه؟ بل هو مُغيِّرٌ لمعنى الكلام[3]، فإنك إذا قلتَ لغلامك:

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٢٠.

(٢) أي مفرد

(٣) المؤلف ينقل كلام المعترضين.

قل لزيدٍ كذا، فذهبَ الغلامُ فقال لزيد: قل كذا؛ اقتضىٰ أن يكونَ المأمورُ زيداً آخر، فإذا قال الآخرُ لزيدٍ اقتضىٰ زيداً آخر وفسدَ الكلام[1]!

وجوابُه: أن جبريلَ والنبيَّ ﷺ مأموران بتبليغ عينِ كلامِ الله تعالىٰ، والمؤمنون مأمورون بتلاوةِ عينِ كلامِ الله، فلما كان ﴿قُلْ﴾ من كلامِ الله تعالىٰ، وجبَ أن يُبَلَّغَ ويُقْرَأَ ليحصلَ التبليغُ التامُّ والائتمارُ العامُ، ويكونَ فرقاً بين تحصيلِ العملِ وتبليغ القول، فإن المقصودَ من إنزالِ كلام الله تعالىٰ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ هو أن يُتلى عينُ كلامهِ تعالىٰ ثم يُعْمَلَ بموجبه، لا أن يُعمل بموجبهِ فقط.

وفي ذكر كلماتِ الأوامرِ في القرآنِ أدلُّ دليلٍ على بطلانِ قولِ من زعمَ من المبتدعةِ أن القرآن عبارةٌ عن كلامِ الله تعالىٰ كما أن أحدنا يبعثُ رسولَهُ إلى شخصٍ يدعوهُ لضيافته، فإن الرسولَ يبلِّغه مقصودَ باعثهِ بعبارةِ نفسه، إذ لو كان عبارةً عن كلام الله تعالىٰ لحُذفت كلماتُ الأوامر؛ فثبتَ بهذا أن ما نقرؤهُ في المحاريبِ ونكتبهُ في المصاحفِ كلامُ الله من غير تحريفٍ ولا تغيير.

ويدلُّ على هذه الجملةِ قوله تعالىٰ: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]، أن من لم تبلِّغ لا يكونُ مبلِّغاً[3]، وإنما المرادُ: إذا لم يبلِّغْ عينَ كلامِ الله تعالىٰ كما أُنزِلَ إليك فما بلَّغتَ رسالة الله عزَّ وجلَّ كما يجب.

قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ﴾:

اعلم أن «هو» إشارةٌ إلى غائب، كما أن «هي» إشارةٌ إلى مؤنثةٍ غائبة. وقد مرَّ ذلك.

قوله تعالىٰ: ﴿أَحَدٌ﴾:

---

(١) ويأتي التعليق على هذا بشكل أوسع في «فصل فوائد السورة».

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٣) هكذا وردت العبارة في الأصل. والمعنى مفهوم.

قال الزجاج: أصلُه «وَحَد». وقد مرَّ قولُه تعالىٰ: ﴿أَحَدٌ﴾: اسمٌ مبهمٌ[1]، خبرٌ لقولك ﴿ٱللَّهُ﴾ رفعاً مبتدأً وخبراً.

قال بعض النحاة: ﴿هُوَ﴾ ابتداء. و ﴿ٱللَّهُ﴾ خبر، و ﴿أَحَدٌ﴾ بدلٌ له.

والفرقُ بين الأحدِ والواحد، أن الواحدَ لمفتتحِ العدد. يقال: واحد، اثنان، ثلاثة.

وأحد: اسمُ شيءٍ لنفيِ ما يُذكَر، ويُستعملُ في بابِ الجحود. يقال: لم يأتني أحد.

والواحدُ يستعمل في بابِ الإثبات. يقال: رأيتُ رجلاً واحداً، ولا يقال: رجلاً أحداً.

فالباري جلَّ ثناؤه اختصَّ به في الإثبات، في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليكون فرقاً بينه وبين غيره.

قلت: ويُحتمل أنها أُجريتْ على بابِها. والجملةُ مشتملةٌ على نفيٍ تقديره: لا أحدَ سوىٰ الله في الألُوهية.

و «أحد» إنما يُستعملُ في بابِ الإثباتِ مع المضافات؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾[2] و ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[3]. ولا يُستعملُ فيه من غير إضافة.

وقيل: إن الـ «واحد» يدلُّ على أزليَّته، لأن الواحدَ في الأعدادِ أصلُها ومبدؤها.

والـ «أحد» يدلُّ على بينونيَّتِهِ من خلقهِ في جميعِ الصفات، لأن الـ «أحد» لنفي ما يُذْكَرُ معه. وقد مرَّ ذلك. والله أعلم.

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ الكلامُ على ما تيسَّرَ من أسرارها.

---

(١) اللفظة موافقة لمعنى النكرة.

(٢) سورة الكهف، الآية ١٩.

(٣) سورة يوسف، الآية ٤.

الفصل السابع

في وجوه قراءتها

قرأ حمزةُ[1] ويعقوب[2] ﴿كُفْؤًا﴾ ساكنةَ الفاءِ مهموزة.

ومثله روىٰ العباسُ عن أبي عمرو[3]، وإسماعيلُ عن نافع[4].

وقرأ شيبة[5] ﴿كُفُوًا﴾ مشبعةً من غير همزة.

ومثله روى حفصٌ عن عاصم[6].

وقرأ الآخرون مثقَّلاً مهموزاً[7].

---

(١) حمزة بن حبيب التيمي، المعروف بالزيات. أحد القراء السبعة. ت ١٥٦هـ.

(٢) يعقوب بن إسحاق الحضرمي. إمام أهل البصرة ومقرؤها. أحد القراء العشرة. ت ٢٠٥هـ.

(٣) أبو عمرو بن العلاء التميمي البصري. أحد القراء السبعة. ت ١٥٤هـ.

(٤) نافع بن عبد الرحمٰن الليثي المدني. أحد القراء السبعة. سبق التعريف به في ص ٣٠. والراوي عنه إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير.

(٥) شيبة بن نصاح المخزومي المدني. قاضي المدينة وإمام أهلها في القراءات. مولى أم سلمة زوج النبيّ ﷺ. ت ١٣٠هـ.

(٦) عاصم بن أبي النجود الأسدي. أحد القراء السبعة وشيخ الإقراء بالكوفة. ت ١٢٧هـ.

(٧) قال الإمام ابن جرير الطبري: اختلف القراء في قراءة قوله ﴿كفواً أحد﴾، فقرأ ذلك عامة قراء البصرة «كُفُواً» بضم الكاف والفاء، وقرأه بعض قراء الكوفة بتسكين الفاء وهمزها «كُفْؤاً». والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان ولغتان مشهورتان، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. تفسير الطبري ٣٠/ ٢٢٤.

ومعناه: المِثْل، والشِّبْه، والنظير.

وجمع الكُفْءِ[1]: أَكْفَاء. وهو من المكافأةِ، وهو الموازاةُ والمعارضةُ بالسويَّةِ، يقال: كَفَأَ الميزانُ ويَكْفَأُ إذا رَجَح إحدىٰ كفَّتَيْه على الأخرى.

و ﴿أَحَدٌۢ﴾ معناه هو أحد. وقيل: رُفع على التقديمِ والتأخير.

وقال المبرِّد: ﴿أَحَدٌۢ﴾ الثاني مباينٌ في المعنى لـ ﴿أَحَدٌۢ﴾ الأول. وهو أنه تعالىٰ يقول: إنه بهذه الصفاتِ التي تقدمت، من الإلٰهية، والصمدية، ونفيِ التولُّد والتوالد، ونفيِ المِثْل والشِّبْهِ، أَحَدٌ، لا يُشَارَك فيها ولا يُزاحم عليها، ولا يستحقُّها سواه.

وقال عبدُ خير: سُئل عليٌّ رضي الله عنه عن تفسيرِ هذه السورةِ [فقال]: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بلا تأويلِ عددٍ. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ بلا تبعيضِ مدد[2]. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكونَ موروثاً هالكاً. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيكونَ إلٰهاً مشارَكاً. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ﴾ من خلقه ﴿كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3].

وقد بيَّنا الاستدلال.

قال أهل التأويل: كما تُمتنع جسميتُه يُمْتَنَعُ أن يكونَ كلامُه حرفاً أو صوتاً، وأن تكونَ ذاتُه عَرَضاً.

واستدلُّوا بهذه الآيةِ الكريمة، وبغالبِ الأمورِ الذي استدلُّوا بها، على عدمِ جسميتِهِ سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) في الأصل: الكفو.

(٢) في الأصل: «بارز». وفي هامش المخطوطة: لعله «مدد» كما مرّ. والحق ما قاله (ص ٤٦).

(٣) من قوله: «وقال المبرد» حتى هنا سبق أن أورده المؤلف في الفصل الخامس عند تفسير الآية الثالثة من السورة الكريمة (ص ٤٦).

وإنما تكلّمنا على تفسيرِ هذه الآيةِ في أصولِ الدِّين، وذكرنا غالبَ أصولِ أهلِ التأويل؛ ليعلمَ الناظرُ أن حاصلَ كلامهم يرجعُ إلى ما قلناه، فيستعينُ بمعرفتهِ على الخوضِ في علمِ الكلام، فإنَّ الاشتغالَ بغيرهِ أولى خوفَ الغرقِ في بحره، فركوبُه خطر، والخلاصُ من الوقوع فيه عَسِر، فقد غرقتْ خلائقُ فيه ولم يَسْلَمْ إلا الأقلُّون، كلٌّ يظنُّ أنه الناجي، و ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[1].

في الحديث: «**تفرَّق بنو إسرائيل اثنتينِ وسبعينَ فِرْقة، وتتفرَّقُ أمتي على ثلاثِ وسبعينَ فِرْقةً، كلُّهم في النارِ إلا واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي**»[2].

وقد كان النبيُّ ﷺ هو وأصحابُه ـ رضي الله عنهم ـ على الكفِّ عن الكلامِ في ذلك، فنحن نتَّبعُ ما كان رسول الله ﷺ عليه وأصحابُه رضي الله عنهم، ونرجو الدوامَ على هذا، ولا نتكلَّفُ في الفحصِ عن

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٥٣.

(٢) يبدو أن المؤلف أورد الحديث من الذاكرة، وقد تكون إحدى روايات الترمذي أقرب لفظ له، وهي: «... وإن بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملّة، كلهم في النار إلا ملةً واحدة». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ «قال: ما أنا عليه وأصحابي». وعند ابن ماجه: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة».
قال الترمذي في الحديث السابق: حديث مفسَّر غريب، لا نعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه. كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ٥/٢٦ رقم ٢٦٤١.
وحديث ابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ٢/١٣٢٢ رقم ٣٩٩٣، وفي الزوائد: إسناده صحيح. رجاله ثقات.
واللفظ الذي قال فيه الترمذي: حديث حسن صحيح، أورده قبل الحديث السابق، وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام: «تفرَّقت اليهود على إحدى وسبعين، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثلَ ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

كونهِ تعالىٰ جسماً أو عَرَضاً، وهل كلامُه حرفٌ أو صوت، بل نتكلَّفُ أن ذاتهُ سبحانه موجودة، وأنَّ صفاتهِ تعالىٰ محمودة، وأن صفةَ النقصِ فيه تعالىٰ مفقودة، سبحانه، واحد، أحد، فرد، صمد، العالم، الرازق، والمدبِّر، سبحانه وتعالىٰ، وتقدَّس، وتنزَّه، وتبارك، فلا إلٰه غيره، ولا ربَّ سواه.

فصل

[فوائد وأسرار السورة][1]

اعلم أن هذ السورةَ العظيمةَ لا تُحصىٰ ولا تُحْصَرُ فوائدُها، وكذلك كلُّ سورةٍ منه[2]. فلما كانت فوائدُها لا تُحصر، أحببتُ أن أذكرَ فوائد:

أحدُها: قوله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾.

الباءُ تدلُّ لأهلِ السنةِ أن الله تعالىٰ هو الخالقُ للعبد، وأن العبدَ لا يستقلُّ بالإنشاء، وذلك لأن الباءَ إذا كانت للاستعانةِ فواضح، لأن العبدَ لو كان يستقلُّ بإنشاءِ الفعل لما أمرهُ الله تعالىٰ بالاستعانة، إذْ ذاكَ تحصيلُ الحاصل، وإن كانت للتبرُّكِ فكذلك، لأنَّ فائدةَ التبرُّكِ طلبُ مآربَ يُعان العبدُ على فعلِها، ويطلبُ تحصيلَها من المستعانِ به، والمبَارَكِ باسمه. وهذا يدلُّ على أن العبدَ عاجزٌ عن تحصيلِ البركةِ بالأعمالِ الصالحةِ استقلالاً. وقُدِّم الاستدلالُ لذلك.

الثانية: ما فائدةُ ذكرِ الاسم؟

فقيل: إجلالاً، كما يُقال: خدمتُ حضرةَ فلان، ويعني بالخدمةِ

---

(١) عنوان الفصل مضاف من قبل المحقق، حيث أشار المؤلف من قبل إلى ما سيرد في «أسرار» السورة، وذكر هنا «فوائد» تستنتج منها.

(٢) أي من القرآن الكريم.

إعظاماً. وقيل: ليكون فرقاً بين صيغةِ القسمِ وغيرِها.

الثالثة: الاسم، هل هو المسمَّى، أم علامةٌ عليه؟ وجهان:

أحدهما: أن الاسمَ غيرُ المسمَّى، وإنما هو دلالةٌ عليه.

والثاني: أن الاسمَ هو المسمَّى، بشهادةِ قوله جلَّ ذكرُه: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾[1]، فأخبر عزَّ وجلَّ أن اسمَهُ يحيىٰ، ثم نادىٰ الاسمَ وخاطبَهُ فقال: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾[2]. ويحيى هو الاسم، والاسمُ هو يحيى.

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾[3]. ولا يُقال إن المسمَّيات هي المعبودة.

قال المنتخِب: وهذا الثاني هو الصحيح.

والذي أختاره أن الاسمَ دالٌّ على مسمّاه لا بعينِ المسمَّى، كما هو الوجه الأول. وذلك لأن المسمَّىٰ الذاتُ، والاسمُ صفةٌ له، ومُحالٌ أن تكونَ الصفةُ ذاتاً.

ويُجاب عن الأولِ بأن فائدةَ الاسمِ تعريفُ المسمى، فلذلك خُوطبَ يحيى.

وكذا الجوابُ عن الثاني.

وقد يُجابُ أيضاً عن الثاني بأنه إنما ذكرَ كونهم عابدين للأسماء، لأنهم اخترعوا الأسماءَ دونَ المسمَّيات، فكان أبلغَ في التنكيل، كأنه يقول: صورتمْ شيئاً بأفواهكم وعبدتُموه. وكانت[4] إضافةُ عبادتهم إلى

---

(١) سورة مريم، الآية ٧.

(٢) سورة مريم، الآية ١٢.

(٣) سورة يوسف، الآية ٤٠.

(٤) في الأصل: وكان.

ما اخترعوه بأفواههم أبلغَ من إضافتِها إلى ما ليس لهم في ذاتِهِ فعل، وإن كان المرادُ المشبَّهات.

الرابعة: لِمَ حذفتِ الألفُ من لفظ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ في اللفظِ والخطّ؟

قال المنتخِب[1]: أما في اللفظ: فلقيام الباءِ مقامها. وأما في الخطِّ فلكثرةِ الاستعمال. ولهذا ثبتَ في قوله تعالىٰ: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[2]، وفي قولك: ليس اسمٌ كاسمِ الله تعالىٰ.

الخامسة: يؤخذ من تقديم الاسم هنا أنه تستحبُّ التسميةُ في أوائلِ الأمورِ المهمةِ، لأن الله بدأَ بها أوائلَ السور.

السادسة: لم قُدِّمَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ على ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ في جميع البسملات؟

فنقول: لأنَّ «الرحمٰن» لما كان أعمَّ في الرحمةِ كان تقديمُه أولى، لأن فيه أمراً زائداً على الأخصّ، وما كان أعمَّ كانت فائدتُه أكثر، وكان تقديمُه على من هو دونه أجدر.

وإمّا لأن «الرحمٰن» اسمٌ ممنوع، بمعنى أنه لا يُسمَّى به غيرُ الله تعالىٰ، فكان تقديمُه إلى مثلِهِ أَولىٰ من تأخيرِهِ عنه، وذلك لأنَّ «الله» اسمٌ ممنوع، فلأنْ يُتلىٰ بمثلهِ أولىٰ.

وإمّا للمناسبةِ في الحركات، لأن ﴿ٱللَّهِ﴾ لامُه مفتوحةٌ ممدودة، وألفُ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ كذلك، فكان تقديمُ المشابهِ في الحركةِ أولىٰ، لأن ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ مكسورُ الحاء، يلي الكسرةَ السكون، فحركتُها مناسِبةٌ للحركتين المتناسبتين في «﴿ٱللَّهِ﴾ و ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾».

---

(١) في الأصل: المنتجب.

(٢) سورة العلق، الآية ١.

وإمّا لأن الوقفَ على ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أنسب، إما من جهةِ اللسان، وإما من جهة أن الرحيم رحيمُ الآخرة، والرحمٰن رحمانُ الدنيا والآخرة. وما كان متمحِّضاً للآخرة[1] كان تأخيرُه أولىٰ ممن فيه شائبةُ الأول، فكان الوقفُ على الرحيمِ أولى.

وإما من جهةِ أن الوقفَ آخِرٌ بالنسبةِ إلى الكلام، و ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ آخِرٌ بالنسبةِ إلى ما تقدَّم، فكان الوقفُ على ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أولىٰ، لأن الغالبَ إنما يوقَفُ على آخرِ الآية، إلا لضرورة.

السابعة: لِمَ اختصَّ هذان الاسمان بالذِّكْرِ بعد اسمِ الله على غيرهما؟

أما ﴿ٱللَّهِ﴾ فواضح، لأنه يستوعبُ جميعَ صفاتِهِ تعالىٰ.

وأما الاثنان، فلأنهما يستلزمانِ دخولَ صفاتِ الأكثرِ من غيرِهما من الأسماء. ألا ترىٰ أن الرحمةَ تستلزمُ القوة؟ وإلا فإذا لم يكنْ قوياً قادراً فكيف يوصفُ بالرحمة؟

ألا ترى أن معنى رحمةِ الله تعالىٰ العفوُ عن العقاب، أو تأخيرُه إلى يوم المعاد، أو تحقيقُه عن المذنبين من المؤمنين يومَ الحشرِ والتّناد، وذلك كلُّه مستدعٍ القدرة.

والرحمةُ تستدعي العلم، لأنه إذا لم يكنْ عالماً بذنبِهِ فعلى أيِّ شيءٍ يرحمه؟

ويستدعي كونُه توّاباً للذنب، وهّاباً ترحُّماً، سميعاً، بصيراً، يرحمُ من شاء، وينتقمُ ممن شاء.

وكذا القولُ في غالبِ صفاته تعالىٰ، بخلافِ بعضِ الصفات، فإن

---

(١) في الأصل: للآخر. ومتمحّض: خالص.

صفةَ العلمِ لا يلزمُ منها وجودُ صفةِ الرحمة والقدرةِ ونحو ذلك على الجملة.

الثامنة: إثباتُ البسملة ـ هنا وفي باقي السور ـ يدلُّ على كونها من السور، وهو مذهبنا[1].

وزعمَ المخالفُ القائلُ بأنها ليستْ من القرآن[2] أنهم كانوا لا يعلمون تمامَ السورة وأولَ الأخرى إلا بالبسملة، فجعلوها علامةً على تمام السورةِ وانقطاعِها، وابتداءِ الأخرى.

ولنا أدلةٌ ليس موضعُ بسطها هنا، ولكن نذكرُ دلالةً منها، وهي أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ رسموا مصاحفَ بسببِ إثباتِ القرآنِ فقط ونفي ما عداه، ورسموا البسملةَ من جملةِ ما رسموه؛ فعلمنا أنها من القرآن، وإلا لطرحوها من القرآن.

التاسعة: لم قال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ﴾؟ فلِمَ لا قال: ﴿قُلْ﴾ أولاً وذكرَ البسملةَ بعد ذلك[3]؟

الجواب: قلنا: فائدةُ البسملةَ الابتداءُ بها في كلِّ أمرٍ ذي بال، أي مهتمٌ به، فلو بدأ بغيرها لبطلتْ فائدتُها.

---

(١) أي الشافعية. وهو قول ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبي هريرة وعلي، ومن التابعين عطاء وطاووس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري، وبه يقول عبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل في رواية عنه وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمهم الله.

(٢) وهو قول مالك وأبي حنيفة وأصحابهما، ورواية عن الإمام أحمد... يراجع تفسير ابن كثير ١٦/١.

(٣) هكذا وردت هذه الجملة والتي قبلها، ويرد فيما يأتي كثيراً، والأولى استعمال «ما» بدل «لا»، لأن «لا» مع الفعل الماضي يستعمل غالباً في الدعاء، مثل: لا أراك الله مكروهاً.

العاشرة: كُسِرتِ الباءُ في البسملةِ وغيرِها لتشابهِ حركتِها عملَها، وذلك لأنَّ عملَها الجرّ.

الحاديةَ عشرة[1]: طُوِّلَتِ الباءُ لتدلَّ على الألفِ المحذوفة.

الثانيةَ عشرة: لم تحذفِ الألفُ إلا مع اسمِ الله تعالىٰ، ولم تحذفْ معه إلا في البسملة، كما تقدَّم.

الثالثةَ عشرة: الباءُ هنا زائدة، ودليلُه: العمل، لأنها عملت في الاسم فجرَّته.

الرابعةَ عشرة: ﴿ٱللَّهُ﴾ اسم، فهل هو مشتقٌّ أم لا؟

فيه خلاف.

الخامسةَ عشرة: إنْ قلنا مشتقٌّ فممَّ اشتُقَّ؟

تقدَّم ذكرُه قبل[2].

السادسةَ عشرة: الألفُ واللامُ في ﴿ٱللَّهُ﴾ ليستا زائدتين، بل أصليتان[3]. كأسماءِ الأعلام. دليلُه عدمُ سقوطِها حالةَ النداءِ في قولك: يا الله.

السابعةَ عشرة: أَلِفُه منقلبةٌ عن ياء[4].

الثامنةَ عشرة: لامُه إذا فُتِح ما قبلها أو ضُمَّ مفخَّمةٌ، وإذا كُسِرَ

---

(١) في الأصل: «عشر» هنا وفيما يأتي من الأعداد المركبة. وقد يكون فيما أورده وجه، لكني عمدت إلى كتابة الأصح والأشهر.

(٢) في أول الفصل الخامس ص ٣٥.

(٣) في الأصل: أصليتين.

(٤) لعله قد اختلط الأمر على المؤلف رحمه الله، ويصدق قوله هنا على لفظة «اللّهمّ» التي تعني: يا الله. وقد سبق أن أورد المؤلف ستة أقوال لأهل اللغة في اشتقاق لفظ الجلالة (ص ٣٥ ـ ٣٨) ليس بينها واحد مما ذكر.
وأصله «إله» دخلت عليه «الـ» ثم حذفت همزته وأدغم اللامان.

مرقّة، لقربِ الترقيق[1] من الإمالة.

التاسعةَ عشرة: فائدةُ الألفِ واللامِ للمبالغةِ في تعظيمهِ وليسا للتعريف، كما تقدَّم.

العشرون: حذفت أَلِفُه خطّاً تخفيفاً، ولم تحذفْ لفظاً إلا شاذّاً.

الحادية والعشرون[2]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صيغتا مبالغة؛ كقولك: علاّمٌ وعليم، مبالغةَ لعالِم.

الثانية والعشرون: أيُّ الصيغتين أبلغ؟

قال قوم: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أبلغ، لأن الرحمٰنَ يضمُّ الدنيا والآخرة، والرحيمُ رحيمُ الآخرةِ فقط.

فإن قيل: لِمَ بُدِىء بذكرهِ وإنما يُبْدَأ في نحوِ هذا بالأقلّ، ثم يَتْبَعُ الأكثر؟

قيل: لأنه صارَ كالعَلَم، لذا لا يُوصفُ به إلا الله عزَّ وجلَّ.

وقال وكيع: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أشدُّ مبالغة، لأنه يُنْبِىءُ عن رحمةٍ في الدنيا والآخرة، ورحمةُ الرحمانيةِ في الدنيا دونَ الآخرة.

الثالثة والعشرون: قال ابنُ عباس: هما اسمان رقيقان، أحدُهما أرقُّ من الآخر. قال الحسينُ بن الفضل: غلط الراوي، لأن الرقَّةَ في صفةِ الباري لا تصحّ، وإنما هما اسمان رفيقان، أحدُهما أرفقُ من الآخر. وأصلُ الرحمة الرِّقُّ والتعاطف[3].

---

(١) في الأصل: «التوفيق»، وفي الهامش: لعله «الترقيق». وهو كما قال.

(٢) في الأصل: الحادي والعشرون... الثاني والعشرون... والمقصود: الفائدة.

(٣) وقال ابن كثير أيضاً: ثم حُكي عن الخطابي وغيره أنهم استشكلوا هذه الصفة ـ يعني الرِّقَّة ـ وقالوا: لعله «أرفق»، كما في الحديث: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، وإنه يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف». تفسير ابن كثير ١/ ٢٠.

الرابعةُ والخامسة والعشرون: لِمَ تُقَدَّم البسملةُ على غيرها؟ وذلك أنها إما للاستعانةِ فناسبَ أن تطلبَ بها الإعانةُ على تمامِ الأمر، ولهذا إذا تمَّ الأمر استحبَّ الحمد، والأليقُ تأخيره؟

فأقول: تفاؤلاً بتمامِ الأمر، أو ابتداؤه، بمعنى: الحمدُ لله على كلِّ حال، فكأن الحامد يقول: الحمد لله، سواءٌ أتمَّ أمري أم لم يُتِمَّهُ. فهو خضوعٌ لجلالهِ تعالىٰ، والخضوعُ أولَ الأمرِ مناسب.

ويستحبُّ ابتداءُ الأمرِ بالصلاةِ والسلام على رسولِ الله ﷺ، لأنه تقرُّبٌ إليه ﷺ، وهو يتقرَّبُ به إلى ربِّه لإتمامِ الأمور. صلّى الله عليه وسلّم كلما ذكرهُ الذاكرون، وكلما غفلَ عن ذكرهِ الغافلون

وأما أن التسميةَ والحمدَ والصلاةَ للتبرُّك؛ فواضحٌ أيضاً، لأن البركةَ أوَّلَ الأمورِ يتيسَّرُ بها المعسور.

السادسةُ والعشرون: لِمَ لمْ يُذْكَرْ مع هذه الثلاثةِ أسماءٌ غيرُها؟

فنقول: لا شكّ أن ما قصرَ لفظهُ وكَثُرَ معناهُ ذِكْرُه أولىٰ مما كَثُرَ لفظهُ ومعناه. وهذه أسماءٌ قلَّ لفظُها، وكثرتْ معانيها وجلالتها.

السابعة والعشرون: لِمَ ذكرَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وقد قلنا إن اسمَ الله يستغرقُ جميعَ صفاته!

فنقول: لا شكَّ أن غايةَ قصرِ الكلمةِ إذا تُليتْ لا يحصلُ منها غايةُ الاتِّعاظ، فناسبَ أن يضمَّ إلى ما ذكرناهُ ما يحصلُ غايةُ المقصود، وإن كان اسمُ الله منبئاً عن جميعِ الصفات فليستْ ظاهرةً في الاسم، فوصَفَهُ بما بعدهُ وصفاً ظاهراً يليقُ بجلاله.

الثامنة والعشرون: محل ﴿بِسْمِ﴾ نصبُ مفعوليه، والتقدير: قولوا، أو ابدؤوا. وقيل: مبتدأ.

التاسعة والعشرون: جُرَّ «اسم الله» بالباء، وجُرَّ «الله» بالإضافةِ لإضافةِ الاسمِ إليه، وجُرَّ «الرحمٰن» لأنه صفةُ مجرورٍ، وجُرَّ «الرحيم» كذلك.

الثلاثون: لِمَ حذفتِ الألفُ من ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ـ وهي الألفُ التي بعد الميم ـ خطاً لا لفظاً، ولم تحذفْ في نحو: شوّال؟

والجواب: لكثرةِ الاستعمال، ولهذا لم تحذفْ في نحو سكرانَ وعطشان، لقلةِ الاستعمال. والله أعلم.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. فيه فوائد:

أحدها: إن قيل: ما السرُّ في الأمر؟ فلِمَ لا قال[1]: «هو الله أحد»، فإن ذلك يحصلُ المقصود.

فالجواب: لفظُ الأمرِ خطابٌ للمأمور، فخاطبَ نبيَّه تشريفاً له.

الثانية: المخاطَبُ بلفظةِ الأمرِ دليلٌ على رسالته ﷺ.

الثالثة: الخطابُ تارةً يكون للنبيِّ ﷺ ويُرادُ هو وغيرُه، كهذا الأمرِ هنا، فإنه ﷺ ونحن مأمورون بامتثالِ هذا الأمر، وتارة يُرادُ النبيُّ ﷺ فقط؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2] فإنه المراد، لأنه ليس أحدٌ منا رسول.

وتارةً يُخاطب ويُرادُ غيرُه، كقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[3]، وقد علم أن الله قد عصمَ نبيَّه من الشرك.

---

(١) هكذا في الأصل. وسبق أن أورد مثله، ويأتي كذلك، وأشير إلى وجه الصحة فيه (ص ٩٩).

(٢) سورة الفتح، الآية ٨.

(٣) سورة الزمر، الآية ٦٥.

الرابعة: لفظُ الأمرِ يدلُّ على عظمِ ما أمرهُ به، فأتى بالأمرِ تأكيداً. ألا ترى أن قولك لشخص: قل زيدٌ عالمٌ، أبلغُ من قولك إسماعاً له: زيدٌ عالمٌ؟

الخامسة: لِمَ لمْ يقل: اعلم، أو اعرفْ أن الله هو أحد؟ فلِمَ أمرهُ بالقول؟

والجواب: أن النبيَّ ﷺ لا يَشُكُّ في وحدانيةِ الله تعالىٰ، فلا فائدةَ في أمرهِ بعلمِ ما علم، بل المقصودُ إعلامُ المشركين بالوحدانية، وإقامةُ الحجة عليهم، والجوابُ عمّا سألوا عنه، ولا يحصلُ ذلك إلا بالقول.

السادسة: لِمَ قال: ﴿قُلْ﴾ ولم يقل: أخبرهم، أو أعلمهم، إذ بذلك يحصلُ المقصود؟

والجواب: التقديرُ في الحقيقة: أَعْلِمْهُمْ بوحدانيةِ الله تعالىٰ. ثم فهّمَهُ صيغةَ إعلامهم فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فحذفَ «اعلم» لدلالة ﴿قُلْ﴾ عليها، وذكرَ الله لنبيِّه صيغةَ إعلامهم، فحصلَ المقصودُ بلفظٍ يسير.

السابعة: فائدةُ ذكرِ الأمرِ هنا وغيرهِ إعلامٌ بأنَّ ما نقرؤهُ ونكتبهُ عينُ كلامِ الله، إذ لو كان دلالةً عليه لحذفتْ ألفاظُ الأمر.

الثامنة: قد علمتَ أن المرادَ بالأمرِ النبيُّ ﷺ وغيرُه، فهل يدخلُ في هذا الكلامِ الكفارُ أم لا؟؟

فنقول: لا شكَّ في دخولهم، فإنهم مأمورون بالتوحيدِ جزماً.

التاسعة: إذا علمتَ أنهم مأمورون بالتوحيد، فدلَّ على أن الأمرَ ليس هو الإرادة، إذ لو كان إرادةً لوُجِدَ، لأن الله تعالىٰ إذا أرادَ شيئاً أن يكونَ يكونُ.

العاشرة: إذا ثبتَ أنهم مكلَّفون بالتوحيد، دلَّ على أنه تعالىٰ قد يُكَلِّفُ بما لا يُطاق. ومذهبُ المتكلِّمين من أهلِ السنَّةِ أنه يجوزُ تكليفُ ما لا يُطاق. وما ذكرناه يدلُّ لهم قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

الفائدة الحادية عشرة[1]: ما فائدةُ ذكرِ ﴿هُوَ﴾؟

والجواب: أنه إشارةٌ إلى غائب، وذلك الغائبُ سؤالُهم الذي سألوه، وهو قولُهم: من ربُّك؟ فالجوابُ اللائقُ هو: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

الثانية عشرة: إن قيل: لِمَ كان الجوابُ بـ ﴿هُوَ﴾؟ وهو يستدعي غائباً، والله حاضرٌ في كلِّ مكان؟

فالجواب: هو سبحانه غائبٌ في اللفظِ لا في المعنى، لأن كلامهم وتلفُّظَهم باسمهِ انقطع، فكان الجوابُ كما تقدَّم، ليتطابقَ السؤالُ والجواب.

الثالثة عشرة: لِمَ لا قال: قل لهم، أو قل للمشركين، أو للسائلين، ثم قالَ ما قال؟

والجواب: أن لفظةَ ﴿هُوَ﴾ قامتْ مقامَ ذكرِ ذلك، لأنها إشارةٌ إلىٰ قولهم وما هو، فعُلِمَ بـ ﴿هُوَ﴾ الجوابُ عن سؤالهم.

الرابعة عشرة: لِمَ لا قال: قل يا محمد؟ ولم حُذِفَ اسمُه؟

فالجوابُ في ذلك: معلومٌ بأنه المخاطَبُ، فلا فائدةَ في طولٍ يقومُ بفائدتهِ القِصَر.

الخامسة عشرة: لم لا حُذِفَ اسمُ الله وقيل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟

---

(١) في الأصل: «عشر»، وهكذا فيما يأتي من الأعداد المركبة.

والجواب: قد علمتَ أن اسمَ الله منبىءٌ عن جميعِ الصفاتِ الشريفة، فلما ذَكَرَ الإشارةَ إلى ذاته المقدّسةِ تمجَّدَ بذكرِ اسمٍ يحتوي على جميعِ صفاتهِ الشريفة.

السادسة عشرة: ﴿هُوَ﴾ إشارةٌ إلى الأسماء: من الجنِّ، والإنس، والمؤمن، والكافر، والدنيء، والشريف، والقوي، والضعيف. فليست ممنوعة، فلما ذكرها تعالىٰ في الجوابِ أظهرَ الاسمَ الممنوع[1]، ليعلمَ أن ﴿هُوَ﴾ هنا مختصَّةٌ بجلالِ الله تعالىٰ ليمتازَ عن غيره.

السابعة عشرة: ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ رُفِعَ رَفْعَ المبتدأ، ومحلُّ ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ نُصب على المفعولية.

الثامنة عشرة: لِمَ قالَ: ﴿أَحَدٌ﴾ ولم يقلْ «واحد»؟

والجواب: ليتناسقَ اللفظانِ في الحركة، لأنَّ لفظَ ﴿أَحَدٌ﴾ موافِقٌ في الحركةِ للفظِ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وذلك أبلغُ في الإعجاز، لحسنِ النَّظْم.

التاسعة عشرة: إنْ قيل: لِمَ ذكر ﴿أَحَدٌ﴾ من بابِ الإثبات؟ وإنما يُستعملُ في بابِ النفي؟

والجواب: ليمتازَ عن غيره.

العشرون: لماذا قال لفظَ ﴿أَحَدٌ﴾ منكَراً ولم يَقُلْهُ معرَّفاً بالألفِ واللام، ويدلُّ على أنه أولىٰ، لأن الصمدَ معرَّف؛ فلِمَ لا قال: «هو الله الأحد» ليتناسقَ اللفظان؟

والجواب: التنكيرُ تارةً يكونُ للتعظيم.

الحادية والعشرون: إن قيل: «الله» فيه الألفُ واللام، فلِمَ لا

(١) أي الذي يمنع التسمي به، وهو لفظ الجلالة.

كانتِ الصفةُ له معرَّفةً بالألفِ واللام لتتوافقَ الصفةُ والموصوفُ لفظاً؟

والجواب: الألفُ واللامُ فيه ليستا للتعريف، و ﴿أَحَدٌ﴾ خبرٌ لا صفة، إذ لو كان ﴿أَحَدٌ﴾ صفةً لاحتاج المبتدأُ إلى خَبر، وما بعدهُ مبتدأ وخبرُه أيضاً. ألا ترى أنك إذا قلت: زيدٌ كريم، تمَّ الكلام؟ فزيدٌ مبتدأ، وكريمٌ خبرُه. فإذا قلتَ: زيدٌ الكريمُ، فالكريمُ هنا إلى الصفةِ أقربُ منه إلى الخَبر، فنفىٰ الإشكالَ بتنكيرِ ﴿أَحَدٌ﴾ فتمحَّض[1] خبر ﴿ٱللَّهُ﴾.

الثانية والعشرون: «الأحد» هنا أبلغُ من «الواحد». ألا ترى أنك إذا قلتَ: زيدٌ واحدٌ في الدار؛ لم يزدنا علماً، لأنّا نعلمُ أن زيداً واحد، ولم يفدنا إلا أنه في الدار. ويجوزُ أن يكونَ معه أحد. فإذا قلتَ: زيدٌ في الدار أحد؛ علمنا أنه ليس معه غيرُه. ولم يذكرْ هذا إلا مثالاً لما يجوز أن يدخل «أحد» فيه مع الإثبات، وإلا فقد تقدَّمَ أن «أحداً» لا يُستعمل إلا في بابِ النفي، إلا في وصفِ الله، ليتميَّز عن غيره.

الثالثة والعشرون: هل يحسنُ الوقفُ على «الله» تعالىٰ أم لا؟

فنقول: لا يحسنُ الوقفُ عليه، لأن ﴿أَحَدٌ﴾ الخبرُ، ولو ابتُدىءَ بها منفردةً لما أفادت.

قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾:

في الآيةِ فوائد:

أحدها: ذكرُ الله تعالىٰ ثانياً مظهراً إظهاراً لعظمته.

ثانيها: لو حذفَ «الله» من الآيةِ لأخلَّ بالنَّظْم، لأن «الصمد» كلمةٌ واحدة، والآيةُ بعدها أطول، لأن فيها «لم».

---

(١) تمحَّض: صار خالصاً.

ثالثها: لا يصحُّ الوقفُ على «الله»، لأنه مبتدأ، خبرُه «الصمد».

الرابعة: إن وقفتَ على «أحد» فتحتَ همزةَ «الله»، وإن وصلتَ كسرتَ نونَ «أحد»(١) لالتقاءِ الساكنين.

الخامسة: إن وقفتَ على «أحد» أظهرتَ الهمزةَ حين تبتدىء، وإن وصلتَ حذفتَ الهمزة.

السادسة: «الصمد» فيه أقوال، وجماعُها قولُ ابنِ عباس ـ رضي الله عنه ـ : إنه الكاملُ في أنواعِ الشرفِ والسُّؤدَد(٢).

السابعة: «الصمد» مشتق من صمدتُ فلاناً إذا قصدته. فالصمدُ سبحانه يُصمد إليه في الحوائج.

الثامنة: ما السرُّ في أنه بدأ بالتوحيد، ثم عقبهُ بالصمديَّة؟

فالجواب: ألا ترى أنك إذا أردتَ أن تقصدَ شخصاً في حاجةٍ فحصتَ عن كونهِ قادراً على قضائها أم لا؟ فإنْ تبيَّن لك عجزهُ تركتَهُ، وإن تبيَّنَ لك قدرتُه قصدتَهُ. فأثبتَ الله سبحانه وتعالىٰ وحدانيتَهُ وقدرتَهُ كيلا يقصدَهُ سواه.

التاسعة: «الصمد» هل هو اسمٌ ممنوعٌ لا يُوصَفُ به سوى الله أم ليس ممنوعاً؟

إن قلنا إنه الجامعُ لأنواعِ السؤددِ والشرفِ ـ على قول ابن عباس ـ فيتَّجه أنه لا يوصفُ به إلا الله تعالىٰ، إذ ليس أحدٌ جامعاً

---

(١) يعني تنوينها، حيث يكون التلفظ بالنون في آخر الضمّتين.

(٢) قوله رضي الله عنه: السيد قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه. هذه صفته لا تنبغي إلا له. تفسير الطبري ٣٠/ ٢٢٣.

لأنواعِ السؤددِ والشرفِ إلا الله تعالىٰ، وإن قلنا بمعنى[1] الاشتقاقِ ـ وهو القصد ـ فيجوزُ أن يوصفَ به غيرُ الله.

العاشرة: لِمَ لا نُكِّرَ «الصمد» تعظيماً كما قلتم في «أحد»؟

فنقول: إن «أحد» قامَ مقامَ تعريفها الإشارةُ بقولهِ «هو» فلما ابتدأ الآيةَ بغيرِ إشارةٍ عُرِّفَ بالألف واللام، لأن الألفَ واللامَ في التعريفِ هنا أولى من التنكير، لأن التعريفَ بهما بمنزلةِ قولِ القائل: لا أقصدُ إلا زيداً. وكان التقديرُ هنا: الله هو الصمد، الذي ليس مثله صمداً[2].

تقول: زيدٌ العالم، تريد: زيدٌ العالمُ الكبير، فهو أبلغُ من قولك: زيدٌ عالم. والتقديرُ في هذا المثال: زيد عالمٌ من بعضِ العلماء.

فلما كان التعريفُ تارةً للتعظيم، والتنكير تارةً[3] للتعظيم، أتى الله بالصيغتين تعظيماً له، ليجمعَ صيغَ التعظيمِ في أوصافهِ تعالىٰ.

الحادية عشرة[4]: لماذا قُدِّمَتْ صيغةُ التنكيرِ على صيغةِ التعريف، مع أنهما صفتا تعظيم؟

والجواب: لأن النكرةَ أصل، والمعرفةُ فرعٌ عليها، وتقديمُ الأصلِ أولىٰ من تقديمِ الفرع عليه، فقُدِّمَ الأصلُ على الفرع.

قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾:

في الآية فوائد:

---

(١) في الأصل: بمتتعني!

(٢) هكذا وردت العبارة، وقد يكون تركيبها الصحيح: الذي ليس مثلَهُ صمدٌ.

(٣) في الأصل: وتارة.

(٤) في الأصل: عشر.

أحدها[1]: لِمَ أُخِّر نفيُ التولُّدِ عن إثباتِ الأحديةِ والصمدية؟

والجواب: إثباتُ الأحديَّةِ والصمديَّةِ[2] شكرٌ وثناء، ونفيُ التولُّد نفيُ نقصٍ، والشكرُ الجامعُ لجميعِ المحامدِ يستلزمُ عدمَ النقص، ونفيُ النقصِ لا يستلزمُ إثبات جميعِ الصفاتِ الحميدة، لأنك إذا قلت: زيدٌ كريم، فقد نفيتَ البخل. وكونُه ليس بخيلاً ولا كريماً هي حالةُ الاستواء. فإذا قلت: زيدٌ ليس ببخيل، لا يلزمُ منه إثباتُ الكرم، لأن زيداً قد لا يكونُ كريماً ولا بخيلاً، فإذا وصفتَهُ بالكرم فقد نفيتَ البخلَ وحالةَ الاستواء.

فإذا ثبتَ أن الثناءَ يستلزمُ وجودَ الصفاتِ الحميدة، وأن نفيَ النقصِ لا يستلزمها، كان ما فيه زيادةَ ثناءٍ بالتقديمِ أولىٰ.

ثانيها: لما سألوه ﷺ: من ربُّك؟ فجوابُه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ثم قالوا: ومن أي شيء هو؟ فجوابهم: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾[3]. فالسؤالُ الأولُ عن الماهية، والثانية عن التولُّد، فنقول: لأن «لم» فعلُها ماضٍ في المعنى، مستقبِلٌ في اللفظ، فأُتيَ به إشارةً إلى أنه لم يمضِ منه تولُّد، ولا يأتي في حقِّه أيضاً.

رابعها[4]: لماذا لم يكنِ النفيُ بِـ «ليس»؟

لأن خبرَها مستقبلٌ لفظاً ومعنى، وليس لفظُها ماض.

فلِمَ لا كان النفيُ بها؟

والجوابُ من وجهين:

---

(١) الكلمة مطموسة في الأصل.

(٢) في الأصل: الصمد.

(٣) سبق تخريجه في الفصل الأول من أسباب النزول.

(٤) هكذا في الأصل وفي الهامش إشارة إلى هذا الموضع بثلاث نقط مثلثة (∴)، فقد يكون الناسخ وجده كذلك، وحقه: «ثالثها».

أحدهما: إن كان فائدتُهما سواء، فالنفيُ بـ «لم» أولىٰ، لأنها أخصرُ[1] من «ليس»، لأنها حرفان، و«ليس» ثلاثةُ أحرف.

الثاني: المقصودُ نفيُ افتعالِ الولادة. فإذا كان المقصودُ نفيَ الفعل، فالإشارةُ إلى نفيِهِ بنفسه أولىٰ من الإشارةِ إلى نفيِهِ بغيره، وذلك لأن خبرَ «لم» لمّا كان نافياً تقدُّمَ الولادةِ بمعناهُ وتأخُّرَها فيما بعد بلفظِهِ، كان ذكرُه أولىٰ ممَّن ينفي تقدُّمَ الولادة بغيرِه، وذلك لأنَّ فِعْلَ «ليس» المنفيَّ لا يقتضي إلا نفيَ الولادةِ في المستقبل، ونفيَ تقدُّمِ الولادةِ بغيرِه، وهو ليس.

خامسها: هل يحسنُ الوقفُ على ﴿لَمْ يَلِدْ﴾؟

فنقول: لا يحسنُ الوقفُ هنا، وإن كان الوقوفُ عليه مفيداً بنفسِه مع جملةِ مقصوده، لكن الواوَ بعده عاطفةٌ على ما قبلها. فالحسنُ نفيُ التولدِ والتوالد، وحَسُنَ الوقفُ عند ذلك، لأن نفيَ الكُفْءِ جملةٌ غيرُ جملةِ التولُّدِ والتوالد.

سادسها: لماذا نفى أولاً كونَهُ والداً، ثمَّ نفىٰ كونَهُ مولوداً؟ فلِمَ لا قدَّم الثاني وأخَّرَ الأول؟

والجواب: لو فعلَ ذلك لخرجَ عن نهجِ نسقِ الكلام، لأن «أحد» و «الصمد» قبلَ دالِهما فتحة، وكذا «يولد» فتناسقَ مناسبةُ اللفظين وتوافقا في الحركة، فقُدِّم لما ذكرناه.

سابعها: من العادةِ في الكلامِ تقديمُ الوالد ـ لأنه الأصل ـ وتأخُّرُ الولدِ ـ لأنه متأخِّرٌ حِسّاً عن الوالد ـ فقُدِّمَ نفيَ ما يُقَدَّمُ في الكلامِ لئلا يخرجَ عن نهجِ البلاغة.

ثامنها: لماذا لم يأتِ بنون العظمَة بدلَ الياءِ في لفظ «يلد»

(١) اسم التفضيل هنا صحيح، وهو بمعنى أوجز.

و «يولد»؟ فلِمَ لا قال: «لم نلد ولم نولد» بالنون؟

والجواب: النونُ تارةً تُراد للجمع، وتارةً تُرادُ للعظمة. والمقصودُ هنا إثباتُ الوحدانية، فلا يناسبُ الإتيانُ بشيءٍ يوهمُ التشريكَ والجمع، لأنه جوابٌ عن نفي ذلك، فلأنْ يؤتىٰ بجوابٍ لا يكونُ للخصم فيه مدفعٌ أولىٰ من الإتيانِ بجوابٍ يوهمُ لفظُه ما يدَّعيه الخصمُ المُبطل.

تاسعها: قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ فنفيُ التولُّدِ والتوالدِ هو لاسمِ الله المتقدِّم، وهو فرد، فكانت الصفةُ بصيغةِ الفرديةِ لتتوافقَ الصفةُ والموصوف.

عاشرها: لا يصحُّ الابتداءُ بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ إذا لم يتقدَّمْ ذكرُ الله، إذ ذلك صفة، والصفةُ لا تفيدُ مجرَّدةً عن الموصوف.

حادي عشرها: فإنْ قيل: ما علَّلتموهُ من عدمِ الإتيانِ بنونِ العظمةِ مُبطل، فإن الجوابَ عن دعوىٰ الشريكِ انفصلَ وثبت، وهو قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

والجواب: هذه السورةُ في حكمِ الجوابِ الواحد، لأن الأسئلةَ التي سألوها أُجيبوا عنها في هذه السورةِ جواباً واحداً، ولو لم يكنْ لنا إلا الدليلُ الذي ذكرناهُ في الفائدةِ التاسعة [لكفىٰ].

ثاني عشرها: ما فائدةُ ذكرِ الواوِ في قوله: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾؟

فنقول: التولُّدُ والتوالدُ جملةٌ غيرُ جملةِ الصمديَّة، فلما فُصِلَتْ عنها ربطَ بينهما ـ أعني لفظَتَيْ التولُّدِ والتوالدِ ـ بالواو، لأن الجملةَ آيةٌ واحدةٌ في معنى واحد، وهو التولُّدُ والتوالد.

ثالث عشرها: ما الفرقُ بين هذا المحلِّ حيث عُطِفَ عليه بالواو، وبين المحلِّ الأولِ وهو الصمديَّةُ حيث حُذِفتِ الواو؟ فلم لا كان «والله الصمد»؟

والجوابُ من وجهين:

أحدهما: أن الصمديةَ منفصلةٌ عما قبلها، ولو دخلتْ عليها واو لما كان إلا واوَ الابتداء. وهنا ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ جملتُهما آيةٌ واحدة، فناسبَ الرابط.

الوجه الثاني: الصفتانِ الأُوْليانِ هما الأحديةُ والصمديةُ، كلٌّ منهما نوعٌ بذاته، والتولُّدُ والتوالدُ نوعٌ واحد؛ فناسبَ ارتباطهما.

رابع عشرها: الـ «أحد» في هذه السورةِ اختصَّ الله بها في بابِ الإثبات. فاستعمالُها في باب الإثبات لغيرِ الله تعالىٰ ممنوع. و «الصمد» مقتضى اشتقاقهِ أنه ليس ممنوعاً، والفصلُ بين الممنوعِ وغيرِ الممنوعِ أولى، بخلافِ التولُّدِ والتوالد. فقد يوصفُ بها غيرُ الله تعالىٰ، فتقولَ: هذا الرجلُ لم يَلد. وهذه المرأةُ لم تَلد. وتقولُ عن آدم: لم يُولد، بل خُلِقَ من غيرِ ولادة.

خامس عشرها: لِمَ لا أكَّدَ عدمَ التولُّدِ بنونِ التوكيد فقال: «لم يلدنَّ ولم يولدنَّ»؟

فنقول: قال النحاة: يقلُّ دخولُ نونِ التوكيدِ في النفي. قالوا: لانتفاءِ العلة، وذلك لأنَّ العلَّةَ شرطُ فعلِها أن يكونَ بمعنى الطلب، والمنفيُّ ليس كذلك، لأنه إمّا ماضٍ، والماضي لا يكون طلباً، وإمّا مستقبل، فليس طلباً أيضاً.

سادس عشرها: لِمَ لا أظهرَ اسمَهُ الكريم هنا فقال: «لم يلد اللهَ رلم يُولد» إظهاراً للعظمة؟

والجواب: قد تكرَّر إظهارُه قبل، وحصلَ القصد. وكثرةُ تكرارِ الكلمة في اللفظِ المتقاربِ فيه مُملّ، وليس من الفصاحة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾:

في الآية فوائد:

أحدها: إن قيل: لماذا عطفَ بالواو هنا فقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ مع أنها منفردة، ولها معنى غير معنى ما قبلها؟ فلِمَ لا[1] قال أولاً: «والله الصمد» بالواو؟

والجواب: لو قال: «والله الصمد» كانت تشبهُ صيغةَ القِسَم، سيَّما والخبرُ صالحٌ أن يكونَ جواباً للقسم. فربما توهَّمَ قارئٌ أنها قَسَمٌ معتمداً على صلاحيتها، وجوابها للقسم وجوابه، فذكرُ صيغةِ توهمُ غيرَ الحقيقةِ أولىٰ من ذكرِ صيغةٍ قد توهمه، وذلك معدومٌ في هذه الآيةِ الكريمة.

ثانيها: لم كرَّر «لم» ثلاثَ مرات، وقلتم إن كثرةَ التكرارِ يُخرجُ الكلامَ عن نهجِ البلاغة؟

والجواب: ليست مكررةً التكريرَ المخلّ بالفصاحة، بل غالبُ التكريرِ في الكلامِ كونُه ثلاثَ مرات.

ثالثها: إن قيل: ما فائدةُ تأخيرِ «أحد» عن «كفواً»؟

والجواب: لو كان الكلامُ: «ولم يكن له أحدٌ كفواً» لخرجَ عن نَسَقِ ما قبله، فإن أواخرَ الدال، والتناسقَ في الكلام، والتوافقَ في الحركات، أولىٰ من المباينة.

رابعها: ما فائدةُ ذكرِ «أحد»؟ فإنه لو قال: «ولم يكن له كفواً» لعلمنا أنه ليس له كُفْء؟

والجواب ما تقدَّم في الفائدةِ الرابعة.

خامسها: في تأخيرِ الـ «أحد» وجعلِها في آخرِ السورةِ إشارةٌ إلى

(١) في الأصل: «فلم قال» وهناك إشارة من الناسخ بين الكلمتين، ولم يظهر تصحيحه في الهامش. فوضعت حرف «لا» على أسلوب المؤلف فيما سبق.

بقاءِ وحدانيتهِ آخرَ كلّ شيء، وفي تقدُّمِ «أحد» أولاً إشارةٌ إلى قِدَم وحدانيته.

سادسها وسابعها وثامنها: لفظةُ «كان» متصرِّفةٌ. تقول: كان الشيءُ، يكونُ، فهو كائن. وأحسنُ ما استُعملتْ «كان» في حقِّ الله تعالىٰ متصلة، وفي حقِّ العبدِ منقطعة. تقول: كان الله غفوراً رحيماً، أي: وهو كائن. وتقول: كان زيدٌ كريماً، أي: والآن ليس بكريم.

وتكون بمعنى «وُجد». قال الشاعر:

إذا كان الشتاءُ فادفنوني فإنَّ الشيخَ يهدمهُ الشتاء

أي: إذا وُجد الشتاء.

وحكم «كان» وأخواتِها عكسُ «إنَّ» وأخواتِها في العمل، لأن «كان» ترفعُ الاسمَ وتنصبُ الخبر، وإنَّ المشدَّدَة عكسُها.

تاسعها: الكُفْء: هو المماثلُ والموازي.

عاشرها: مصدرُ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾: الولادةُ. تقول: وَلَد، يَلِد، وِلادةً. ووُلِد، يُولَد، وِلادة.

والتوالدُ: الانفصالُ عن الشيء، والإيلادُ: افتعالُ الوِلادة. والاستيلادُ: طلبُ الولادة. المفردُ وَلَد، والمثنى وَلَدان، والجمعُ وِلْدان. والمُتَوَلِّدُ منه الذَّكَرُ، وهو والد. والأنثىٰ والدة، والجمع والِدُون ووالِدات. والوَلَدُ يُطلقُ على الصغيرِ والكبيرِ والقليل، وللذكرِ والأنثى.

فصل

في فوائد السورة على الإجمال

ولنذكر عشرةَ فوائدَ لتتمةِ مئةِ فائدة، فإنه تقدَّمَ تسعونَ فائدة، فنقول:

الحادية والتسعون: السرُّ في أن هذه تُقرأُ ثلاثَ مرات، لِما روي أنها تَعْدِلُ ثلثَ القرآن. فمن قرأها ثلاثَ مراتٍ كأنه قرأَ القرآن. وقد مرَّ ذكرُ كونِها تَعْدِلُ ثلثَ القرآن(1).

الثانية والتسعون: رُوي في الحديثِ أن رسول الله ﷺ قال لرجلٍ يَلْزَمُ قراءتها: «**لِمَ تلزمُ قراءةَ قُل هو الله أحد**»؟

فقال: إني أحبُّها.

فقال: «**إنَّ حبَّها أَدخلك الجنة**».

وقد مرّ(2).

الثالثة والتسعون: روي أن من قرأها كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ نودي يومَ القيامةِ من قبره [قم] يا مادحَ الله، فادخلِ الجنةَ.

الرابعة والتسعون: رُوي **أن من قرأها في مرضِ موتهِ لم يُفْتن في**

(1) وذلك في أول الفصل الثاني ص ٢٢.

(2) في آخر الفصل الثاني ص ٢٩.

قبرِه، وأَمِنَ ضغطةَ القبر، وحملتْهُ الملائكةُ بأكفِّها، حتى تُجيزهُ من الصراطِ إلى الجنة.

الخامسة والتسعون: روي أن **من قرأَ قل هو الله أحد بعد صلاةِ الفجرِ ثنتي عشرة مرة فكأنما قرأَ القرآنَ أربعَ مرات، وكان أفضلَ أهلِ الأرضِ يومئذٍ إذا اتَّقى.**

وقد مرَّ ذكرُ هذه الفوائدِ في ذكرِ فضلها[1].

السادسة والتسعون: لماذا سُمِّيتْ سورةَ الإخلاص؟

والجواب: أنه أُخْلِصَ فيها الوحدانيةُ والصمديةُ والصفاتُ الحميدةُ لله تعالىٰ.

السابعة والتسعون: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ آيةٌ منها، ومن غيرِها على الصحيحِ من مذهبنا[2]، وفي الفاتحةِ لا خلافَ أنها منها. لكن هل يُسِرُّ بها أو يجهر؟

فيستحبُّ للإمامِ والمنفردِ أن يجهرَ بها وبغيرِها من القرآنِ في الصلاةِ الجهرية، والذين لا يعتقدونَ وجوبها يُسرُّون بها.

الثامنة والتسعون: يستحبُّ أن **تُقرأ هي والمعوِّذتان عند النوم ثلاثَ مرات، ويَنفُثُ في كَفَّيه مجموعتين، ثم يمسحُ بهما ما استطاعَ من جسده.** ثبتَ ذلك في الصحيحين[3].

قال أهلُ اللغة: النَّفْثُ: نفخٌ لطيفٌ بلا ريق.

---

(١) كما تمَّ تخريجها هناك، في الفصل الثاني ص ٢٣، ٢٨، ٢٩.

(٢) يعني الشافعية. وقد سبق بيانه في ص ٩٩.

(٣) عن عائشة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلة جمع كفَّيْه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسحُ بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده. يفعل ذلك ثلاث مرات. رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوِّذات ٦/١٠٦.

المئة[1]: **تستحبُ قراءةُ هذه السورةِ في الركعة الثانيةِ من سُنَّةِ الفجر**[2]، **وتستحبُّ قراءتُها دُبُرَ الصلاةِ مع قراءةِ المعوِّذتين**[3]. ويستحبُّ الإكثارُ من قراءتها لكثرةِ فضائلها. والله أعلم.

والحمدُ لله تعالىٰ أولاً وآخِراً، وظاهراً وباطناً. وهو حسبُنا ونعم الوكيل، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

ولنختمْ كتابَنا بهذا الحديث الصحيح: قال ﷺ:

«كلمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمٰن، خفيفتان على اللِّسان، ثقيلتان في الميزان: سبحانَ الله وبحمدِه، سبحانَ الله العظيم»[4].

اللَّهمَّ يا موصوفُ بالصفاتِ العُلا، صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمد، وأزواجه، وذرِّيته، وأهلِ بيتهِ الطيبينَ الطاهرين، كلما ذكرهُ الذاكرون، وكلما غفلَ عن ذكرهِ الغافلون، وعلى سائرِ الأنبياء والمرسلين، وآلِهم وصحبِهم أجمعين، إنك أنت الغفورُ الرحيم.

واجعلهُ كتاباً مباركاً نافعاً إلى يومِ القيامةِ يا ربَّ العالمين.

---

(١) لم ترد الفائدة التاسعة والتسعون في الأصل.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد. رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر ٢/ ١٦١.

(٣) عن عقبة بن عامر قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة». رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة (تفريع أبواب الوتر) باب في الاستغفار ٢/ ٨٦ رقم ١٥٢٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ص ٢٨٤ رقم ١٣٤٨.

قال الحافظ ابن كثير: رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من طرق، عن علي بن أبي رباح. وقال الترمذي: غريب. تفسير ابن كثير ٤/ ٥٧١.

(٤) يبدو أن المؤلف رواه من ذاكرته، حيث لم أقف على مصدر أورده باللفظ الأول الذي بدأ به، بل إنها جميعاً تبدأ بـ «كلمتان خفيفتان على اللسان» وتكملته: «ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده». رواه البخاري ـ وهذا لفظه ـ كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح ٧/ ١٦٨. ومسلم، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل والتسبيح ٨/ ٧٠.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس أطراف الأحاديث.

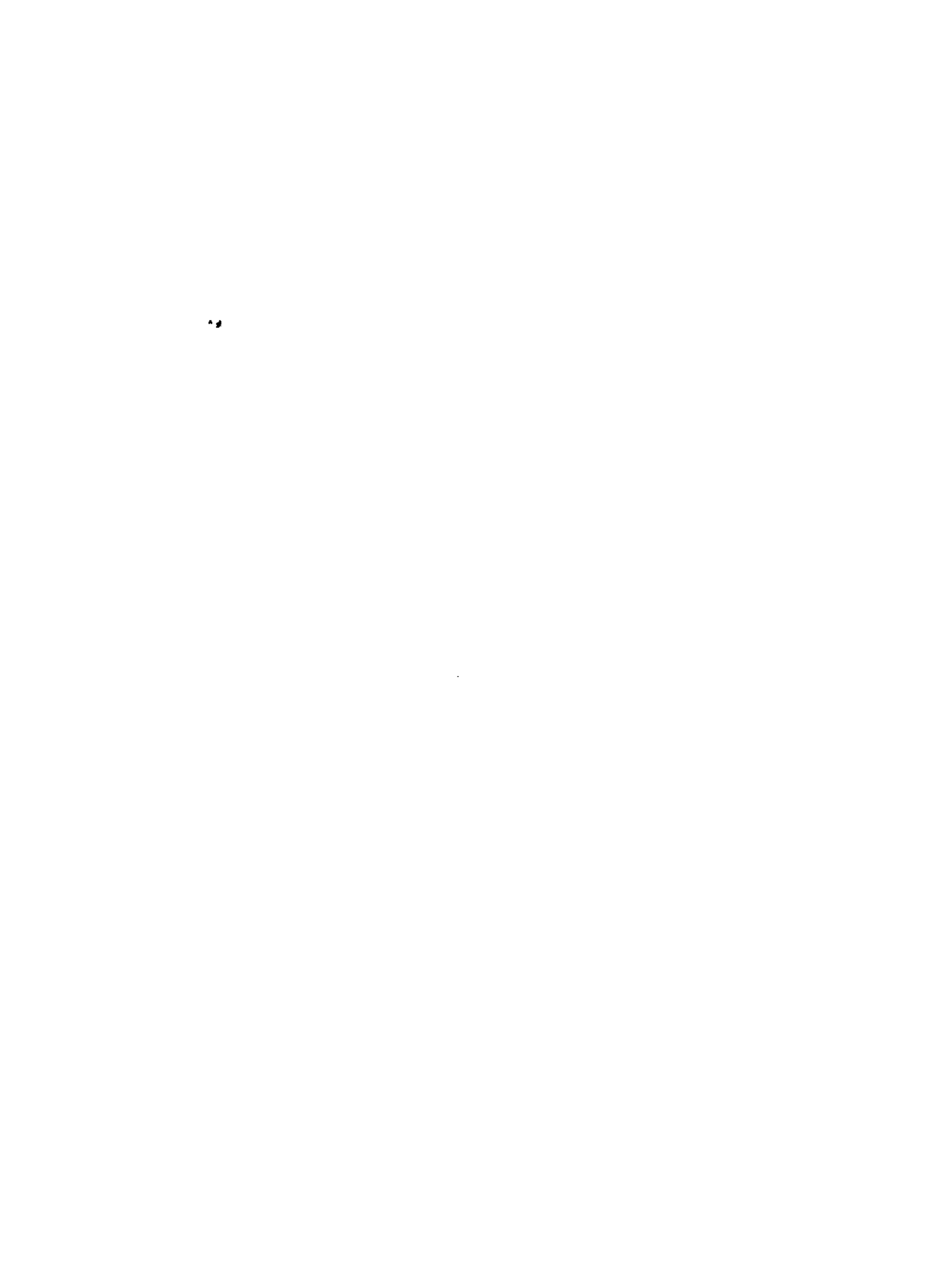
فهرس الشعر.

فهرس الأعلام.

فهرس الأمم والمذاهب وما إليها.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وأيدناه بروح القدس﴾	٨٧	البقرة	٧٨
﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة﴾	٩٤ ـ ٩٥	البقرة	٦٣
﴿واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري﴾	١٦٤	البقرة	٦٠
﴿إن الله سميع عليم﴾	١٨١	البقرة	٧٩
﴿واتقوا الله﴾	١٩٤	البقرة	٢٥
﴿وأيدناه بروح القدس﴾	٢٥٣	البقرة	٧٨
﴿الحي القيوم﴾	٢٥٥	البقرة	٨٥
﴿فقد أوتي خيراً كثيراً﴾	٢٦٩	البقرة	٢٧
﴿وجد عندها رزقاً﴾	٣٧	آل عمران	٤٢
﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم﴾	٦٤	المائدة	٧٧
﴿بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾	٦٧	المائدة	٨٩
﴿فلما جنَّ عليه الليل﴾	٧٦	الأنعام	٦١
﴿ويذرك وآلهتك﴾	١٢٧	الأعراف	٣٦
﴿لن تراني﴾	١٤٣	الأعراف	٨١، ٨٢
﴿إني اصطفيتك على الناس برسالاتي﴾	١٤٤	الأعراف	٦٨
﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾	١٨٥	الأعراف	٤١
﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾	١٧	الأنفال	٧٤
﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾	٤٩	التوبة	٢٥
﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾	٢٦	يونس	٢٥
﴿رأيت أحد عشر كوكباً﴾	٤	يوسف	٩٠
﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها﴾	٤٠	يوسف	٩٦
﴿وينشئ السحاب الثقال﴾	١٢	الرعد	٦٠

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾	١٣ ـ ١٤	الرعد	٢٠
﴿الله خالق كل شيء﴾	١٦	الرعد	١٦
﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾	١١٠	الإسراء	٣٩
﴿فابعثوا أحدكم﴾	١٩	الكهف	٩٠
﴿إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾	٧	مريم	٩٦
﴿يا يحيى﴾	١٢	مريم	٩٦
﴿هل تعلم له سمياً﴾	٦٥	مريم	٣٥
﴿الرحمن على العرش استوى﴾	٥	طه	٧٠
﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾	٢٥	الحج	٨٧
﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾	٧٧	الحج	٢٥
﴿تنبت بالدهن﴾	٢٠	المؤمنون	٨٨
﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾	٥٣	المؤمنون	٩٣
﴿ما اتخذ الله من ولد﴾	٩١	المؤمنون	٣٨
﴿فاسأل به خبيراً﴾	٥٩	الفرقان	٨٧
﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾	٦٠	الفرقان	٣٩
﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾	٢٣ ـ ٢٤	الشعراء	٥٧
﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾	٨	النمل	٤٩
﴿ونفخ فيه من روحه﴾	٩	السجدة	٧٨
﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾	٤٣	الأحزاب	٣٨
﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾	٥	ص	٥٤
﴿الواحد القهار﴾	٦٥	ص	٤٢
﴿وإذا ذكر الله وحده﴾	٤٥	الزمر	٥٤
﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾	٦٥	الزمر	١٠٣
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾	١١	الشورى	٥٦
﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا﴾	٢٤	الجاثية	٥٣
﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً﴾	٨	الفتح	١٠٣
﴿إنما المؤمنون إخوة﴾	١٠	الحجرات	٥٠
﴿الرحمن * علّم القرآن﴾	١ ـ ٢	الرحمن	٣٩
﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾	٧	المجادلة	٧٩

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾	١١	المدثر	٤٣
﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾	١٨	القيامة	٣٢
﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾	٦	الإنسان	٨٧
﴿إذا زلزلت الأرض﴾	١	الزلزلة	٢٥
﴿فيمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾	٧ ـ ٨	الزلزلة	٢٤
﴿قل يا أيها الكافرون﴾	١	الكافرون	٨٨

فهرس أطراف الأحاديث

(يشمل المتن والهامش)

الحديث	الصفحة
«أتت يهود خيبر النبيَّ ﷺ»	٤٦
«أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر»	٨٢
«أتى رهط من اليهود النبيَّ ﷺ»	١٦
«أجعل لك أعنة الخيل تعدو عليها»	١٨
«اخفض عليك جناك»	١٦
«أقيموا صفوفكم وتراصوا»	٢١
«ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت»	٧٠
«ألا تتقي الله في هذه البهيمة»	٦٢
«اللهم اكفنيهما بما شئت»	١٨
«أمراً بين أمرين وخير الأمور أوساطها»	١٣
«أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوِّذات»	١١٨
«إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»	٧٣
«إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة»	٤٩
«إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة»	٩٣
«إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّة»	٩٣
«إن حبها أدخلك الجنة»	٢٩، ١١٦
«إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة أتشهد»	٦٢
«إن ربي ليس من شيء وهو بائن من الأشياء»	١٦
«أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون»	١١٨

الحديث	الصفحة

«إن سورة يس تسمى في التوراة المعمَّمة» ٢٦
«إن علياً كان قرشياً قلباً» ٢٦
«إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس» ٢٥
«أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك» ١٥
«أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة» ١١٧
«أن وفد نجران قدموا على رسول الله ﷺ فيهم السيد والعاقب» ١٦
«إن يرد الله به خيراً يهده» ١٧
«إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر» ٨٢
«أنه ﷺ يرى من خلفه كما يرى من قدامه» ٢١
«إني أراكم من وراء ظهري» ٢١
«أين الله» ٨٠
«تعمُّ صاحبها بخيري الدنيا والآخرة» ٢٧
«تفرق بنو إسرائيل اثنتين وسبعين فرقة» ٩٣
«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة» ٩٣
«جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك نبي» ٦٢
«حبها أدخلك الجنة» .... ٢٩، ١١٦
«خير الأعمال أوساطها» ١٣
«خير الأمور أوسطها» ١٣
«دخل النبي ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار» ٦٢
«دعه فإن يرد الله به خيراً يهده» ١٧
«دوموا على أداء الفرائض» ١٣
«ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ» ٦١
«سلوني عما شئتم» ٦٤
«سورة يس تدعى في التوراة المعمة» ٢٧
«سئل النبي ﷺ عن أشياء كرهها» ٦٤
«غضب النبي ﷺ حتى انتقع لونه» ١٦
«القدرية مجوس هذه الأمة» ٥٤
«قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» .... ٢٢، ٤٨
«قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن» ٢٢

الحديث	الصفحة
«قلب القرآن يس»	٢٥
«قم يا مادح الله فادخل الجنة»	٢٩
«كان علي قرشياً قلباً»	٢٦
«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان»	١١٨
«كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها»	٦٢ ،٠
«لا يزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد»	٧٦
«لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم»	١٨
«لكل أمة مجوس»	٥٤
«لكل شيء قلب وقلب القرآن يس»	٢٥
«لم تلزم قراءة قل هو الله أحد»	٢٩، ١١٦
«لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله»	٨١
«لو أن أحدكم أولى دلوه لسقط على الله»	٨١
«ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه»	٧٣
«ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»	٧٣
«مجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر»	٥٤
«من أنا»	٨٠
«من تواضع لغني لأجل غناه»	٢٧
«من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين»	٧٠
«من دخل على غني فتواضع له ذهب ثلثا دينه»	٢٧
«من رب هذا الجمل»	٦٢
«من صلّى صلاة لا يحدّث بها نفسه»	٧٠
«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»	٧٣
«من قرأ إذا زلزلت عدلت بنصف القرآن»	٢٢
«من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ»	٢٢
«من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الفجر»	٢٣، ١١٧
«من قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن»	٢٢
«من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن»	٢٢
«من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت»	٢٨
«من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمس مرات»	٢٩

الحديث	الصفحة
«من قرأ قل هو الله أحد كل يوم خمسين مرة»	٢٩
«من قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن»	٢٢
«من قرأ قل يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن»	٢٣
«من قرأ يس كتب الله له بقراءتها»	٢٥
«من قرأها أربع مائة مرة كان له أجر»	٤٧
«من قرأها ألف مرة لم يخرج من الدنيا حتى»	٤٧
«من قرأها ثلاثاً بورك عليه وعلى أهله وجيرانه»	٤٧
«من قرأها ثماني عشرة مرة بني له اثنا عشر قصراً»	٤٧
«من قرأها خمسين مرة غفر له ذنوب»	٤٧
«من قرأها عشرين مرة جاء يوم القيامة مع الأنبياء»	٤٧
«من قرأها في مرض موته لم يفتن في قبره»	١١٧
«من قرأها كل يوم خمس مرات نودي»	١١٦
«من قرأها مرتين بورك عليه وعلى جيرانه»	٤٧
«من قرأها مرة بورك عليه»	٤٧
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»	٤٩
«هل تمارون في القمر ليلة البدر»	٨٣
«والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»	٤٨
«يا محمد قل هو الله أحد»	٤٧
«يس قلب القرآن»	٢٦
«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا»	٧١

٦٠

فهرس الشعر

إذا كانت الشتاء فادفنوني	فإن الشيخ يهدمه الشتاء	١١٥
تزوجنا من الدهماء أرضاً	وأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا	٣٧
ألا قرب المزنوق إذا جد ما أرى	لتعريض يوم شرُّه غير خامد	١٩
وفي كل شهر له آية	تدل على أنه واحد	٦٥
ألا بكر الناعي بخبر بني أسد	بعمرو بن مسعود بالسيد الصمد	٤٤
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما	ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر	٣٤
لعمري وما عمري علي بهيِّن	لقد شان حُرَّ الوجه طعنة مسهر	١٩
تخيَّر أبيت اللعن إن شئت ردَّنا	وإن شئت حرباً ذات بأس ومصدق	١٩
وبيداء تيه تأله العين وسطها	محققة غبراء صرماً سملق	٣٧
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما	جعل اللسان على الفؤاد دليلا	٧٠
بسم الإله وبه بدينا	ولو عبدنا غيره شقينا	٣٤
لاهت فما عرفت يوماً بخارجة	يا ليتها خرجت حتى رأيناها	٣٧
لله درُّ الغانيات المدَّه	سبَّحن واسترجعن من تألّه	٤٦

فهرس الأعلام

آدم (عليه السلام): ٤٧، ٧٨
إبراهيم بن السري الزجاج: (٤١)، ٦٣، ٩٠
إبليس: ٤٧
أبي بن كعب: ١٥
أربد بن قيس العامري: (١٧)، ١٨، ٢٠، ٢١
إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير: ٩١
أنس بن مالك: ٢٩
أهرمن: ٥٥
ابن الترمذي = محمد
جابر بن عبد الله: ٢٩
جبريل (عليه السلام): ١٦، ٤٧، ٨٩
جرير: ٨٢
جعفر الصادق: ٤٥
الجنيد بن محمد النهاوندي: (٤٥)
حسين بن الفضل: ٥٧، ١٠١
حفصْ بن سليمان المقرئ: ٩١
حمزة بن حبيب الزيات المقرئ: (٩١)
الخراساني = عثمان بن عطاء
= عطاء بن أبي مسلم
ذكوان السمان الزيات، أبو صالح: (١٧)
الرازي = محمد بن عمر
الربيع: ٤٤
الرضي = أبو موسى
رفيع بن مهران الرياحي، أبو العالية: (١٥)
الروذباري = محمد بن أحمد
الرياحي = رفيع بن مهران
الزجاج = إبراهيم بن السري
زروان: ٥٥
الزهري = سعد بن إبراهيم
= سعد بن محمد
الزيات = حمزة بن حبيب
= ذكوان السمان
سعد بن إبراهيم الزهري: ٢٣
سعد بن محمد الزهري: ٢٣
سعد بن أبي وقاص: ٢٢
سعيد بن جبير: ١٦
سعيد بن المسيب: (٤٣)
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: ٢٣
السمان = ذكوان
الشافعي = محمد بن إدريس
الشعبي = عامر بن شراحيل

شيبة بن نصاح المقرئ: (٩١)
أبو صالح = ذكوان السمان
الضحاك بن مزاحم الهلالي: ١٦
عاصم بن أبي النجود المقرئ: (٩١)
أبو العالية = رفيع بن مهران
عامر بن شراحيل الشعبي: (٤٣)
عامر بن الطفيل العامري: (١٧)، ١٨، ١٩، ٢٠
العباس: ٩١
عبد خير بن يزيد الهمداني: (٤٦)، ٩٢
أبو عبد الرحمن: ٤٨
عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة: ٢٣، ٤٣، ٧٣، ٧٤، ٧٩
عبد الله بن رواحة: ٣٤
عبد الله بن عباس: ١٦، ٢٠، ٣٠، ٣٦، ٣٩، ٤٤، ١٠١، ١٠٨
عبد الله العنبري: ٢٨
أبو عبيدة = معمر بن المثنى
عثمان بن عطاء الخراساني: ٣٠، ٤٢
ابن عطاء = عثمان
عطاء بن أبي مسلم الخراساني: (٣٠)
علي بن أحمد الواحدي: (٥٧)
علي بن أبي طالب: ٢٦، ٤٣، ٤٦، ٩٢
أبو علي = محمد بن أحمد الروذباري
أبو عمرو بن العلاء المقرئ: (٩١)
عمرو بن مسعود الأسدي: (٤٤)
العنبري = عبد الله
= يزيد بن عبد الله
فخر الدين = محمد بن عمر الرازي
الفراء = يحيى بن زياد
ابن أبي كثير = إسماعيل بن جعفر
لبيد بن ربيعة العامري: ٣٤
المبرد = محمد بن يزيد
مجاهد بن جبر المكي: ٣٠
محمد؟: ١٦
محمد بن أحمد الروذباري، أبو علي: (٥٦)
محمد بن إدريس الشافعي: ٣٢
محمد بن إسحاق: ١٦
محمد بن الترمذي: ٤٤
محمد بن عبد الله، النبي ﷺ: ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٩، ٤٦، ٤٧، ٥٤، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٩، ٩٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١١٠، ١١٦، ١١٨
محمد بن عمر الرازي، فخر الدين: ٨٢
محمد بن كعب: ٣٠
محمد بن يزيد المبرد: (٤٦)، ٩٢
مسيلمة الكذاب: ٦٦
أبو معاذ النحوي: ٥٧
معمر بن المثنى، أبو عبيدة: (٥٧)
مقاتل بن حيان النبطي: (٤٤)

المقرئ = حفص بن سليمان
= حمزة بن حبيب
= شيبة بن نصاح
= عاصم بن أبي النجود
= أبو عمرو بن العلاء
= نافع بن عبد الرحمن
= يعقوب بن إسحاق
ملك الموت: ١٩
أبو موسى الرضي: ٤٤
موسى بن عمران (عليه السلام): ٨١، ٨٢
نافع بن عبد الرحمن المقرئ: (٣٠)، ٩١
ابن أبي النجود= عاصم
النحوي = أبو معاذ
أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر
الواحدي = علي بن أحمد
يحيى بن زكريا (عليهما السلام): ٩٦
يحيى بن زياد الفراء: ٤٢، (٥٧)
يزدان: ٥٥
يزيد بن عبد الله العنبري: ٢٨
يعقوب بن إسحاق المقرئ: (٩١)

٦٠

فهرس الأمم والمذاهب وما إليها

الأشراف: ٣٤

الأنبياء: ٢٦، ٣٢، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٦٠، ٦٥، ١١٨

أهل التأويل: ٦٨، ٧٠، ٨٥، ٩٢، ٩٣

أهل السنة: ٦٨، ٩٥، ١٠٥

أهل الكلام: ١٠٥

الأوس: ١٩

الباطنية: ٥٥

بنو أسد: ٤٤

التابعون: ٨٥

الجن: ٥٧، ٦٠، ٦١، ١٠٦

الحرمية: ٥٥

الخرمدينية: ٥٥

الخزرج: ١٩

الروم: ٦٤

الزروانية: ٥٥

الزنادقة: ٥٣

الشافعية: ٣٣، ١١٧

الصحابة: ١٧، ٨٥، ٩٣، ٩٩

العرب: ٣٢، ٤٣، ٥٥، ٦٤، ٧٠

الفرس: ٦٤

الفلاسفة: ٥٥

القدرية: ٥٤

الكفار: ١٤، ٣٨، ٧٣

المجانين: ٥٣

المسلمون: ٧٣

المشركون: ١٥، ٣٩، ٥٥، ١٠٤، ١٠٥

المفسرون: ٤٣، ٥٧، ٦٧

الملائكة: ٢٨، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٥، ٥٧، ٧٧، ١١٧

الملوك: ٣٤

النحاة: ٩٠، ١١٣

النصارى: ١٦، ٥٥

هوازن (قبيلة): ١٩

اليهود: ١٦، ٣٩، ٤٦، ٥٥، ٦٣، ٧٧

فهرس المراجع

- **إحياء علوم الدين/** محمد بن محمد الغزالي.ـ ط، محققة.ـ بيروت: دار الهادي، ١٤١٢هـ.
- **أسباب النزول/** علي بن أحمد الواحدي؛ تحقيق أبي صالح شعبان.ـ القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى/** الملا علي القاري؛ تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
- **الأعلام: قاموس تراجم.../** خير الدين الزركلي.ـ ط ٢، مزيدة محلاة بالخطوط والرسوم.ـ القاهرة: مطبعة كوستاتسوماس، ٧٣ ـ ١٣٧٨هـ.
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون/** إسماعيل بن محمد البغدادي، استانبول، ١٣٦٥هـ.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: السيرة النبوية/** شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي؛ تحقيق عمر عبد السلام تدمري.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- **تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣/** لأبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي.ـ بيروت: دار الفكر، د.ت.
- **ترتيب القاموس المحيط للفيروزابادي على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة/** الطاهر أحمد الزاوي.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ.
- **تفسير البحر المحيط/** أبو حيان الأندلسي؛ دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
- **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل/** الحسين بن مسعود البغوي؛ إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمٰن العك، مروان سوار.ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

- **تفسير القرآن العظيم/** إسماعيل بن كثير الدمشقي.ـ بيروت: دار الفكر، د.ت.
- **التفسير الكبير/** الفخر الرازي.ـ ط ٣.ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي (تصوير من ط المطبعة البهية المصرية بالقاهرة).
- **التلخيص (تلخيص المستدرك)/** للذهبي (بذيل المستدرك على الصحيحين).
- **تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر/** هذّبه ورتبه عبد القادر بدرأن.ـ ط ٢، منقحة.ـ بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال/** جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي؛ حقّقه وضبط نصه وعلّق عليه بشار عواد معروف.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.
- **جامع البيان في تفسير القرآن/** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ (مصورة من ط المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٧هـ).
- **حلية الأولياء/** أبو نعيم الأصبهاني.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- **ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره/** وليد قصاب.ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٢هـ
- **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**.ـ بيروت: دار صادر، د.ت.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/** محمود الآلوسي؛ قرأه وصححه محمد حسين العرب.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- **الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني/** تحقيق محمد شكور محمود الحاج أمرير.ـ بيروت: المكتب الإسلامي؛ عمان: دار عمار، ١٤٠٥هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير/** ابن الجوزي؛ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ.
- **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة/** تخريج محمد ناصر الدين الألباني.ـ ط ٥.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.
- **سنن ابن ماجه/** حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.ـ القاهرة: دار الحديث. د.ت.
- **سنن أبي داود/** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.ـ صيدا؛ بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

- **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)/** تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة.ـ القاهرة: دار الحديث، د.ت.
- **السنن الكبرى/** أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.ـ بيروت: دار المعرفة (مصورة من ط مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٣٥٦هـ).
- **سير أعلام النبلاء/** شمس الدين الذهبي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ ـ ١٤٠٩هـ.
- **السيرة النبوية/** لابن هشام؛ حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي.ـ د.م: دار الكنوز الأدبية، د.ت.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب/** ابن العماد الحنبلي.ـ ط ٢، منقحة.ـ بيروت: دار المسيرة، ١٣٩٩هـ.
- **الشذرة في الأحاديث المشتهرة/** محمد بن طولون الصالحي؛ تحقيق كمال بن بسيوني زغلول.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
- **صحيح البخاري**.ـ استانبول: المكتبة الإسلامية، ١٤٠١هـ
- **صحيح سنن أبي داود باختصار السند/** صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني؛ اختصر أسانيده وعلّق عليه وفهرسه زهير الشاويش.ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ
- **صحيح مسلم/** عليه حاشية بقلم محمد شكري الأنقروي.ـ بيروت: دار المعرفة، د.ت.ـ (مصورة من ط ١٣٤٩هـ).
- **صحيح مسلم بشرح النووي**.ـ الرياض: دار الإفتاء، د.ت (مصورة من ط إستانبول: المطبعة العامرة).
- **ضعيف سنن أبي داود/** ضعف أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني؛ أشرف على استخراجه وطباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش.ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.
- **الطبقات الكبرى/** محمد بن سعد.ـ بيروت: دار صادر: دار الفكر، د.ت.
- **العبر في خبر من غبر/** شمس الدين الذهبي؛ حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**/ ابن حجر العسقلاني.ـ ط، مصححة على عدة نسخ وعن النسخة التي حقق أصولها وأجازها عبد العزيز بن عبد الله بن باز.ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.
- **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**/ محمد بن علي الشوكاني؛ بتحقيق عبد الرحمٰن بن يحيىٰ المعلمي اليماني، أشرف على تصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف.ـ جدة: محمد نصيف، ١٣٨٠هـ.
- **الكامل في التاريخ**/ عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري؛ عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء.ـ ط ٤، تميزت بفهارس شاملة.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ.
- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**/ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة؛ حققه وصححه عامر العمري الأعظمي؛ اهتمَّ بطباعته ونشره مختار أحمد الندوي السلفي.ـ بومباي: الدار السلفية، ١٤٠٣.
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**/ إسماعيل بن محمد العجلوني.ـ ط ٣، مصححة الأخطاء.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**/ نجم الدين الغزي؛ حققه وضبط نصه جبرائيل جبور.ـ ط ٢ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٩هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ نور الدين الهيثمي؛ بتحرير العراقي وابن حجر.ـ بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٦هـ.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**/ جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي، ساعده ابن محمد.ـ الرياض: دار الإفتاء (مصورة من الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ).
- **المستدرك على الصحيحين**/ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.
- **المسند**/ أحمد بن حنبل؛ وبهامشه منتخب كنز العمال.ـ بيروت: المكتب الإسلامي. د.ت.
- **المعجم الكبير**/ أبو القاسم الطبراني؛ حققه وخرَّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي.ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية. د.ت.
- **معجم المناهي اللفظية**/ بكر بن عبد الله أبو زيد. ـ ط ٣ .ـ الرياض: دار العاصمة، ١٤١٧هـ.

- **معجم المؤلفين/** عمر رضا كحالة.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
- **المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار/** عبد الرحيم بن الحسين العراقي (بهامش إحياء علوم الدين).
- **الملل والنحل/** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (بهامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم).ـ بيروت: دار الفكر.ـ (مصورة من ط المطبعة الأدبية بالقاهرة، ١٣١٧هـ).
- **الموضوعات/** عبد الرحمٰن بن الجوزي؛ تقديم وتحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن عثمان.ـ المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٦هـ.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر/** أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري؛ تحقيق الطاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.ـ بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.
- **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين/** إسماعيل بن محمد البغدادي.ـ إستانبول، ١٣٧١هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
مقدمة المؤلف	١٣
الفصل الأول: سبب نزول السورة.	١٥
الفصل الثاني: بيان فضلها وأنها تعدل ثلث القرآن.	٢٢
الفصل الثالث: عدد آياتها وكلماتها وحروفها.	٣٠
الفصل الرابع: اشتقاقها.	٣١
الفصل الخامس: تفسيرها والرد على ذوي الجهل عند التفسير.	٣٣
فرع: تنزيه الباري سبحانه وتعالىٰ.	٥٢
الفصل السادس: إعرابها.	٨٧
الفصل السابع: وجوه قراءتها.	٩١
فصل: فوائد وأسرار السورة.	٩٥
فصل: فوائد السورة على الإجمال.	١١٦
الفهارس العامة:	١١٩
فهرس الآيات القرآنية	١٢١
فهرس أطراف الأحاديث	١٢٤
فهرس الشعر	١٢٨
فهرس الأعلام	١٢٩
فهرس الأمم والمذاهب وما إليها	١٣٢
فهرس المراجع	١٣٣
فهرس الموضوعات	١٣٨